

أطراحيبيج

مجلة شهرية ثقافية تعنى باللغة العربية

العدد الرابع - جمادى الثانية ١٤٣٥هـ / أبريل ٢٠١٤م.

رؤيتنا أن تكون أعراب صديقا لأبناء العربية ودارسيها يأخذ بأيديهم إلى حبها، والحرص عليها، والوعي بقيمتها وبقضاياها، والعناية بها تعلمنا وأداء.

ورسالتنا الحفاظ على اللغة العربية بما تمثله من قيمة حضارية وإنسانية، ونشر الوعي بها على كافة المستويات، ومن ثم احترامها في الأوساط العلمية والثقافية والاجتماعية، بما يمكن لترسيخ الهوية العربية الإسلامية.

أبواب المجلة:

بلسان عربي مبين - أفصح العرب ﷺ - نجوم في سماء العربية (رجال وكتب)
 - العربية في حياتنا (تعليم / إعلام / مجتمع) - قضايا لغوية ونحوية -
 مفاهيم بلاغية ونقدية - قضايا أدبية - قراءات نقدية - لقاءات وحوارات
 - آثار قيمة - مستشارك اللغوي - تصويبات لغوية - متابعات وعروض -
 واحة أعراب - أخبار اللغة العربية - مرفأ الإبداع.

ضوابط النشر:

- ١- تقبل المجلة المقالات التي تتعلق باللغة العربية والأعمال الإبداعية المكتوبة بالفصحى.
- ٢- يفضل ألا يزيد المقال عن ١٥٠٠ كلمة.
- ٣- يشترط في المادة المقدمة أن تكون أصيلة لكتبتها؛ ليست منقولة كلها أو معظمها عن غيره، مع توثيق ما يرد فيها من نُقول، وألا تكون منشورة من قبل بأية وسيلة من وسائل النشر الورقي أو الإلكتروني، والمجلة غير مسؤولة عما يخالف ذلك.
- ٤- يرجى ممن يشارك للمرة الأولى إرسال مادته مصحوبة بالتعريف به تعريفاً مختصراً.
- ٥- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر عن رأي المجلة.
- ٦- ترسل جميع المشاركات في ملف word على بريد المجلة الإلكتروني: aareebmagazine@gmail.com

أعاريب

مجلة شهرية ثقافية تعنى باللغة العربية

العدد الرابع - جمادى الثانية ١٤٣٥هـ - أبريل ٢٠١٤م

رئيس التحرير

د/ تامر عبد الحميد أنيس

كتاب العدد

د/ إبراهيم سعيد السيد

د/ أحمد سعد الله

د/ أحمد صلاح البنا

أ/ أسماء زيدان

أ/ أيمن عيسى

أ/ سميرة بيطام

أ/ شعبان عيسى أبو العلا

د/ صلاح حفني

أ/ عبد الفتاح جمال

د/ علي نجار

أ/ منجية بن صالح

د/ وليد مقبل الديب

أ/ وليد ممدوح عمر

في هذا العدد:

افتتاحية..... رئيس التحرير

بلسان عربي مبين

تأملات في سورة البقرة..... د/ وليد مقبل الديب

أفصح العرب

بلاغة التعبير في حديث (ما ذئبان جائعان)..... د/ إبراهيم سعيد السيد

نجوم في سماء العربية.. رجال وكتب

الخليل بن أحمد وعبقرية الإبداع العلمي..... د/ أحمد سعد الله

العربية في حياتنا.. تعليم، إعلام، مجتمع

تدريس المهارات اللغوية..... وليد ممدوح عمر

مفاهيم بلاغية ونقدية

الغموض الفني لدى عبد القاهر الجرجاني..... د/ صلاح حفني

قراءات نقدية

وصف المطر لامرئ القيس بن حجر.. التشكيل والتأويل... د/ أحمد صلاح البنا

قراءة لقصيدة (يا انا أنت) للشاعر أحمد عبد الغني الجرف.... منجية بن صالح

أثار قيّمة

مارية القبطية.. تحقيق في سيرتها وموطنها، للعلامة حفني ناصف

تقديم وتعليق/ عبد الفتاح جمال

تصويبات لغوية

أخطاء شائعة..... د/علي النجار

كلمات ومعانٍ..... أيمن عيسى

متابعات وعروض

إصدارات حديثة..... عبد الفتاح جمال

مرفأ الإبداع

أين الأمة؟..... شعبان عيسى أبو العلا

جفت البحار..... أسماء زيدان

مروج النهضة الراقية..... سميرة بيطام



افتتاحية

ما أعجب حال اللغة العربية مع أهلها !!
 كتب شاعر النيل حافظ إبراهيم قصيدةً بعنوان (اللغة العربية تتعى حظها بين أهلها)، وما أراها - وقد مضت عشرات السنين على ذلك النعي - إلا في ازديادٍ من الحسرة والألم من الحظ العاثر الذي جعلها لغةً أمّةٍ مفرّطة، لا تعي - في مجموعها - قيمةً لهويتها، ولا هدفاً لحياتها، فلا مكان للاعتزاز بلغتها عند أكثر الناس.

ومع هذا ما تزال جهودٌ مخلصة تبذلُ في سبيل التوعية والتبصرة بقيمة العربية وحققها علينا، ومن تلك الجهود إعلان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يومَ الأول من مارس من كل عام يوماً عربياً للغة العربية، ونفتطف من بيان المدير العام للمنظمة بهذه المناسبة هذه الأقوال الدالة على الوعي بقيمة اللغة وضرورتها الحضارية من جهة، وطبيعة أزمتهما الحالية من جهة أخرى:

- «لقد تجاوزت التحديات اليوم قضايا اللغة في ذاتها إلى أصحابها، المشكلة اليوم في علاقة أصحاب اللغة باللغة، وليست في تدعيم اللغة وإسنادها. وهذه المنطقة أخطر بكثير؛ لأنها تتصل بالإنسان صاحب اللغة وبنيته النفسية تجاه لغته. والمنظمة تعرف أن وراء هذه المنطقة الخطرة المنظومة الحضارية التي نعيشها، والتي تكتسح اكتساحاً اللغات الوطنية الإقليمية على الرغم من ارتفاع الأصوات الداعية إلى احترام الخصوصيات والحفاظ عليها».
- «اللغة تصوغ عقول أصحابها، وتشكل رؤيتهم لأنفسهم وللعالم، وبمقدار ثرائها وقدرتها على التغيير والتعبير تضخ في عروقهم دماء جديدة، وتكسبهم حضوراً خاصاً ومتفرداً».
- «نختزل اللغة اختزالاً عندما ننظر إليها على أنها وسيلة تواصل، إنها أعلى من ذلك كثيراً؛ فهي صانعة العلم، وحاملة التراث، ومدونة التاريخ ووعاء القيم، وبوتقة الخصوصية (الهوية)».

• «يحتفل العالم في ١٨ كانون أول / ديسمبر سنوياً باللغة العربية، ونحتفل نحن العرب بها في الأول من مارس/ آذار سنوياً، واحتفالنا بها ليس بغرض التغمي بها والتمجيد لها، ولكنه بغرض إذكاء جذوة هذه اللغة لتقوم بالجدل الحي مع أصحابها بدورها التاريخي من جديد».

وفي هذا الإطار أقام معهد المخطوطات بالقاهرة في التاسع من مارس احتفالية بهذا اليوم، تحت عنوان (العربية في زمن الثورات)، وقد شرفني مدير المعهد الدكتور فيصل الحفيان بدعوة كريمة لإلقاء كلمة حول العربية بين دعوات الإصلاح وقيم التغيير، أشرت فيها إلى أن العربية حظيت منذ أكثر من قرن من الزمان بدعوات إصلاحية تتغيا الرقي بها وتقويم تعليمها، وإن جاءت بعض هذه الدعوات مغرضةً ملبسةً ظاهرها الإصلاح وباطنها القضاء على الفصحى وإحلال العامية محلها في النطق، والحروف اللاتينية محل العربية في الكتابة، لكن تصدى لهذه الدعوات رجال كانوا على وعي بحقيقتها وخطورتها، ومع هذا استمر الانفصال النفسي بين العربية وأبنائها، حتى أصبحت دعوات الإصلاح الجزئية لا تكفي، وبتنا في حاجة ماسة إلى ثورة فكرية ونهضوية شاملة، تقوم على ثلاث دعائم:

الأولى- رغبة سياسية راسخة في أن تنهض أمتنا من كبوتها التي طالت، وتترك موقعها الأثير في العالم الثالث، وتقرر أن تكون من دول العالم الأول، وحينئذٍ ستتخذُ الإرادة السياسية من الوسائل ما يعينها على تحقيق هذا الطموح، وستعمل على بثه في عقول أبناء الأمة العربية وقلوبها مستعينة على ذلك بإعلام مؤثر، وتعليم موجّه.

الثانية- نهضة علمية أصيلة لا تكتفي بنقل النتاج العلمي الغربي والشرقي واستهلاكه، بل تنزل إلى مضمار الاكتشافات والاختراعات العلمية والنظريات المنهجية، حتى تنافسَ بنتاج أصيل غير مُستوردٍ ما لدى الآخرين، وتحرصَ على التفوق عليه، حينئذٍ سيكون لنا حياةٌ ورؤى يسعى إليها غيرنا.

الثالثة- وعي عام بقيمة اللغة العربية الفصحى، يقرُّ في ضمير الإدارة السياسية فتُسحَّرُ ما لديها من إمكانات لنقله إلى الشعوب العربية، وتحويله

إلى عقيدة راسخة، تملأ كيانها، حتى تدرك أن الحفاظ على بقائها،
وتقدمها، واستقرارها، ووحدتها رهينٌ بالحفاظ على العربية واحترامها.
حينئذٍ تعود للإنسان العربي ثقته بنفسه، ووعيه بقيمة العربية في تشكيل هويته
والحفاظ على وحدة أمته، مما يهيئ لها مكانة سامقة بين اللغات.

رئيس التحرير

بلسان عربي مبين

تأملات في سورة البقرة

د/ وليد مقبل الديب

يقول الله - عز وجل - :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا

فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ

بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

﴿البقرة: ١٧﴾.

هذه الآية تصور لنا حقيقة

النفاق في صدور أصحابه، فهم

يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر،

فشبهتهم الآية الكريمة بالذي

استوقد نارا، فلما رأى منها انتفاعا

بأن أضاءت وأبصر بها ما حوله،

أطفئت النار، وتحول النور إلى

ظلمة، وآل الإبصار إلى عمى.

وهناك مجموعة من

التساؤلات التي تثيرها الآية

الكريمة:

١- لماذا عبرت الآية عن ضوء النار

بالظرف (حوله) في ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ

مَا حَوْلَهُ ﴾، ولم تكن مثلا (فلما

أضاءت) بدون مفعول، أو (فلما
أضاءت له)؟

لأن الظرف (حول) يشير إلى

أن النور منفصل عن هؤلاء، لم يمس

قلوبهم؛ لذلك سرعان ما ذهب عنهم

نور الإيمان الذي لم يرسخ في قلوبهم؛

لأنه عارض، أما الظلمة فراسخة في

قلوبهم.

٢- لماذا تعدى الفعل (ذهب) بواسطة

حرف الجر ولم يتعد بهمزة التعدية ؟

أي لماذا كان التركيب (ذهب الله

بنورهم)، ولم يكن (أذهب الله

نورهم)؟

الباء هنا تدل على المعية،

فقد ذهب الله بالنور؛ لأن هذه المعية

خص الله بها عباده المؤمنين دون

غيرهم، فحرم هؤلاء المنافقين منها،

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]،

وليس مع المنافقين، وقد تأكد ذلك

بقوله - تعالى - (وتركهم)، فلم

يصبحوا في معيته الخاصة بالمؤمنين.

٣- لماذا عبرت الآية عن ذهاب الضوء

بـ(ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ولم تعبر بذهاب

النار لمطابقة ذكرها قبل ذلك

(اسْتَوْقَدَ نَارًا)، ولأنها هي التي أطفئت؟

النار تشتمل على جانبيين: جانب الإشراق، وجانب الإحراق، فذهب الله - تعالى - بجانب الإشراق الممثل في النور، وترك لهم جانب الإحراق.

٤- لماذا عبرت الآية عن تركهم في الظلمات بذهاب النور ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، ولم تعبر بذهاب الضوء، مع أنه قد ذكر قبل ذلك في (أضاءت)؟

لأن الضوء ينتج عن النور، فالنور أصل للضوء، فالذهاب بالنور هو ذهاب للضوء أيضا، لكن لو عبر بذهاب الضوء لذهبت الزيادة دون الأصل، فقد يتوهم أن النور موجود، وأن ما ذهب إضاءته فقط، كما أن الله - تعالى - وصف نفسه بالنور

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[النور: ٣٥]، والقرآن بالنور ﴿فَآمَنُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]،

والدين بالنور ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

[البقرة: ٢٥٧]، والصلاة نور، فهؤلاء المنافقون محرومون من كل أنواع النور.

٥- لماذا جمع الضمير في قوله - عز وجل - : ﴿بِنُورِهِمْ﴾ مع أنه عبر بالضمير العائد على المفرد في قوله - عز وجل: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾؟

ليرتبط الذهن بالمشبه به، وهم المنافقون، ففي ذلك مراعاة لحال المشبه، وهي حال المنافقين لا لحال المشبه به، وهي حال المستوقد الواحد؛ ليدل على انطماس نور الإيمان في قلوبهم.

٦- لماذا حذف مفعول (يبصرون)؟

لقصد عموم نفي كل ما يُبصر، فنزل الفعل منزلة اللازم، ولا يقدر له مفعول كأنه قيل: لا إحساس بصر لهم.

رحم الله ابن كثير وابن

القيم وابن عاشور وجميع مفسري القرآن الكريم



بلاغة التعبير في حديث (ما ذئبان جائعان)

د. إبراهيم سعيد السيد

الْحَمْدُ لِلَّهِ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ
السَّمَاعَةِ يَوْمَ الْحَشْرِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، أَمَا بَعْدُ

فَحَقِيقُ بِنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ
نُدَقِّقَ النَّظَرَ فِيمَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ
وَأَخْبَرَ، وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ فِعْلٌ مَنْ
يَتَحَرَّى بُبُوءَاتِ الْعَرَّافِينَ وَالْخَرَّاصِينَ،
وَيَتْرُكُ كَلَامَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ مَنْ يَعْدِلُ بِالتَّبِيرِ التُّرَابِ،
وَبَالعِيِّ وَالخَطَلِ الْبِلَاغَةَ وَالصَّوَابَ.
وَبَيْنَ أَيْدِينَا فِي هَذَا الْمَقَالِ نَصٌّ جَلِيلٌ،
يُمِيطُ اللَّثَامَ عَن جَانِبِ مِنْ أَعْوَارِ
النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيُبْرِزُ الْمَعَانِيَ الْمَجْرَدَةَ
فِي صُورَةٍ حَسِيَّةٍ، حَيْثُ يُقَدِّمُ مَضْمُونَهُ
—وما تقتضيه دلالة المفهوم— فِكْرَةَ
التَّحْذِيرِ مِنْ طَلَبِ الْجَاهِ وَالنُّصِيبِ، وَمَا

يَعْقُبُهُ مِنْ آثَارِ كَالْتَرَدُّدِ عَلَى أَبْوَابِ
الظَّلْمَةِ وَغَيْرِهِ.

نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي تَذَوُّقِ
بِلَاغَتِهِ وَجَلَالِ مَضْمُونِهِ.

عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكِ
الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «مَا ذئبان جائعان أُرْسِلَا فِي
غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى
الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(١).

سُبْحَانَ مَنْ آتَى النَّبِيَّ ﷺ
جوامع الكلم، وخلاصة التجارب
وناجع الحكيم، حتى ساق الكلام
الوجيز مضمناً من المعنى العزيز
العزيز.

يصف الرافعي بلاغة النبي ﷺ
بقوله: «البلاغة الإنسانية التي سجدت
الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون
غايتها، لم تُصنع وهي من الإحكام
كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها
وهي على السهولة بعيدة ممنوعة»^(٢).

(١) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا
حديث حسن صحيح، حديث رقم
٢٣٧٦، ومصنف ابن أبي شيبة، حديث
رقم ٣٤٣٨٠.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،

فكم هلك خلق كثير بسبب حرصهم على الجاه، واستبدالهم بالأخرة الوضيع من الحياة، حتى سقمت أفهامهم، وانخدعت عقولهم، وتاهت قلوبهم؛ فكان التيه حاقاً بمن جعل الدنيا همّه، ففرق الله عليه شمله. وألخص حديثي في أربع نقاط:

الأولى: حسية المعاني في حديث

النبي ﷺ:

إن غالب أحاديث النبي ﷺ تُقدم المعنى في صورة محسوسة مُشاهدة، وذلك بسوق المعنى وفق الطرائق التعبيرية التي تُيسر هذه المهمة، كالتشبيه والمجاز وغيرهما، كقوله: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...»^(١)، وقوله: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث...»^(٢)، وهذا الحديث الجليل -

مجل التناول - يُقدم لنا المعنى كذلك في صورة محسوسة مُشاهدة، فهو يُقدم حالين: أحدهما معنوي، والآخر حسي، جمع بينهما وجه شبه فأسحب الحسي على المعنوي فجلاه وأبرزه للناظرين. أمّا الحال الأولى فهي حرص الإنسان على المنصب والجاه وضرأوتهما على إفساد الدين، وأمّا الحال الثانية فهي صورة ذنبين جاععين يتضوران جوعاً، وقد أطلقاً في غنم.

قال المناوي: «المقصود أن الحرص على المال والشرف أكثر إفساداً للدين من إفساد الذنوب للغنم؛ لأن الأشر والبطر يُفسدان صاحبهما، أمّا المال فلأنه يدعوا إلى المعاصي فإنه يمكن منها... لأنه يدعوا إلى التعم بالمباحات، فينبت على التعم جسده، ولا يمكنه الصبر عنه، وذلك لا يمكن استدامته إلا بالاستعانة بالناس، والالتجاء إلى الظلمة، وذلك يُؤدي إلى النفاق والكذب، وأمّا الجاه فإنه أعظم فتنه من المال؛ فإن معناه العلو والكبرياء والعز، وهي من الصفات الإلهية»^(٣).

لرفاعي، ط/دار الكتاب العربي

بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٩٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشركة / باب هل يفرع في القسمة والاستهام فيه ، حديث رقم ٢٤٩٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب

فضل من علم وعلم، حديث رقم ٧٩.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير -

أَمَّا التَّوَجِيهُ النَّحْوِيُّ فَ«مَا»
بمعنى لَيْسَ، وَ(ذُبَّان) اسْمُهَا
وَ(بِأَفْسَدَ) حَبْرٌ مَا... وَاعتبر فيه
الجنسية فأنث (لها)... وَ(لدينه) لأمه
لِلْبَيَانِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِأَفْسَدَ مِنْ أَيِّ
شَيْءٍ؟ قِيلَ: لِدِينِهِ»^(١). وَهَذَا هُنَا تَفْضِيلٌ
يَقْتَضِي النَّظَرَ، حَيْثُ نَجَدُ النَّصَّ
النَّبَوِيَّ الْكَرِيمَ - بَعْدَمَا وَصَفَ
هَذَيْنِ الذُّبَّانِ وَمَا يُنْصَوِّرُ حُدُوثَهُ فِي
غَنَمَاتٍ ضَعِيفَةٍ مَا تَلَبُّثُ أَنْ تَخْرُ
صَرِيحَةً - يَأْتِي بِاسْمِ التَّفْضِيلِ
(أَفْسَدَ) فَيَقُولُ: «بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ»،
«وَقَوْلُهُ (مِنْ حَرْصِ الْمَرْءِ) هُوَ الْمَفْضَلُ
عَلَيْهِ»^(٢)، فَحَرْصُ الْإِنْسَانِ عَلَى
الْمَنْصِبِ وَالْجَاهِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنْ
آثَارٍ وَتَنَارُلَاتٍ، أَفْسَدُ لِلدِّينِ وَالْمَبَادِئِ
مِنْ وَصْفِ الذُّبَّانِ الْمَذْكُورِ.



الثانية: تَعَالُقُ الْحَرْصِ عَلَى
الْمَنْصِبِ وَالْجَاهِ بِالذُّخُولِ عَلَى
الظَّالِمِينَ:

فالحريصُ عَلَى الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ
أَمْرُهُ مَرْهُونٌ بِرِضَا السُّلْطَانِ عَنْهُ، وَمَا
كُلُّ سُلْطَانٍ تَسْتَقِيمُ سَيْرَتُهُ، وَإِنْ
اسْتَقَامَتْ سَيْرَتُهُ، فَلَا يَأْمَنُ الْحَرْصُ
عَلَى الْجَاهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ عَلَى دِينِهِ،
فمخالطة السلاطين يغلب عليها عدم
إنكار المخالفة، إما بالسكوت
لكثرة الران المالى للقلب من جهة
الحرص، أو بالإقرار الصريح
والمباشر بأعمالهم المجاوزة لمقاصد
الشرعية من حفظ الدين والدماء
والأعراض... الخ، وروي عن ابن
مسعود رضي الله عنه أنه قال: «يَدْخُلُ
الرَّجُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ،
فَيَخْرُجُ وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ»^(٣). وَقَدْ نَسَبَ
إِلَى سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «إِنْ دَعَاكَ
لِقَرَأٍ عَلَيْهِمْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَا
تَأْتِهِمْ»^(١).

للمناوى، ٢ / ٦٧٧.

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير -

للمناوى، ٢ / ٦٧٧.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر،

جمال الدين ابن منظور، دار الفكر

الثالثة: مَكْمَنُ الْخَطَرِ فِي

الْحَرِصِ:

١- أَنَّ الْعَالِمَ قَدْ يَكْتُمُ مَا عِنْدَهُ
مِنَ الْعِلْمِ مُدَارَاةً، أَوْ مُدَاهِنَةً، أَوْ طَلَبًا
لِلْعَايَةِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ
مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ
صَانُوا الْعِلْمَ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ،
لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ
بَدَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، لِيَتَّالُوا بِهِ مِنْ
دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَيْهِ»^(٤).

قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى: «اعْلَمْ أَنَّ لَكَ مَعَ الْأَمْرَاءِ
وَالْعُمَمَالِ الظُّلْمَةَ، ثَلَاثَةٌ أَحْوَالٍ: الْحَالِ
الْأُولَى: وَهِيَ شَرُّهَا، أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِمْ،
وَالثَّانِيَّةُ: وَهِيَ دُونُهَا أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْكَ،
وَالثَّلَاثَةُ: وَهِيَ الْأَسْلَمُ أَنْ تَعْتَرِلَ عَنْهُمْ،
فَلَا تَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَكَ»^(٢).

رَوَى عَنْ سَلْمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ:
لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ: «يَا سَلْمَةُ بْنُ
قَيْسٍ... لَا تَغْشَ ذَاتَ سُلْطَانٍ؛ فَإِنَّكَ لَا
تَصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَصَابُوا
مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنْهُ». وَرَوَى عَنْ وَهْبِ
بْنِ مَنِبِهِ أَنَّهُ قَالَ لِعَطَاءَ: «إِيَّاكَ وَأَبْوَابَ
السُّلْطَانِ! فَإِنَّ عَلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ
فِتْنًا كَمِيبَارِكِ الْإِبْلِ، وَلَا تَصِيبُ مِنْ
دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ
مِثْلَهُ»^(٣).



للطباعة والنشر - سوريا، ١٤٠٢هـ -

١٩٨٤م، ٣٩٦/٢٤.

(١) شرح السنة، للإمام البغوي، ٢٩٦/١٤.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي

، ط/دار المعرفة بيروت، ١٤٢/٢.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي.

(٤) التاريخ الكبير، للإمام البخاري، ط/

دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد -

طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد

خان، ٤٤٣/١.

٢- أن الحرصَ على المالِ قد يكونُ مشغلةً عن الواجبِ من حظِّ الآخرة، مجبنةً عن قولِ الحقِّ، وحينئذٍ يستحيلُ الأمرُ من سعيِّ بالمالِ للآخرة، إلى سعيِّ للمالِ على حسابِ الآخرة، ويأتي تحذير النبي ﷺ من ذلك في قوله: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَّانِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ... الخ»^(١).

٣- أن الحرصَ على المالِ قد يأتي على جُلِّ وقتِ الإنسانِ، بما لا يدعُ لنفسه ولقلبه شغلاً آخرَ غيره، كقولِ عليٍّ - رضي الله عنه - : «الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ»^(٢)، والحارسُ لا يتسنى له أن يلتفتَ عن الشيءِ الذي يحرسُهُ، وإلا تعرَّضَ للضياعِ والبددِ.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم ٢٨٨٧.
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو

الرابعة: بين التمتع بالطيبات والحرص: فالتعمُّ بما آتاه الله تعالى العبدَ من نعمٍ ليسَ دَاخلًا في المقصودِ، لأدلةٍ تُردُّه منها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»^(٣)، والفرقُ بينَ هذا والحرصِ على جمعِ المالِ - وإن بطرُقٍ غيرِ مشروعةٍ -

مع الحرصِ على الجاهِ - وإن على حسابِ المبادئِ وتعاليمِ السماءِ - واضحٌ بيِّنٌ: «أَمَّا الْمَالُ فإِفسَادُهُ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ القُدْرَةِ يحركُ داعيةَ الشَّهواتِ، ويجرُّ إلى التَّعَمُّ في المباحاتِ فيصيرُ التَّعَمُّ مألُوفًا، وربما يشتدُّ أُنْسُهُ بالمالِ ويعجزُ عن كسبِ الحلالِ فيقتحمُ في الشبهاتِ مع أنها ملهيةٌ عن ذكرِ الله تعالى، وهذه لا ينفكُ عنها أحدٌ، وأمَّا الجاهُ فيكفي به إفساداً أن المالِ

نعيم الأصبهاني، ٧٩/١.

(٣) سنن الترمذي، حديث رقم ٢٨١٩.

يُذَلُّ لِلجَاهِ، وَلَا يُذَلُّ الجَاهُ لِلْمَالِ وَهُوَ الشَّرْكَ الخَفِيّ فيخوض في المراآة والمداهنة والنفاقِ وسائرِ الأخلاقِ الدَّمِيمَةِ فهو أَفْسَدُ وَأَفْسَدُ»^(١).

لكن يبقى الفرقُ حاصلًا بين المعنى المقصود من الحديث، وطلبِ المالِ ليكونَ أداةً معينةً على تحصيلِ الخيرِ وسدِّ العوزِ، وقد رُوِيَ عن أيوبِ السخْتِيَانِي قال: قال لي أبو قلابَةَ: «يا أيوب، احفظ عني ثلاثَ خصال: إِيَّاكَ وَأَبْوَابَ السُّلْطَانِ، وإِيَّاكَ ومجالسةَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَالرِّمِّ سَوْقَكَ فَإِنَّ الغِنَى مِنَ العَافِيَةِ»^(٢).



والسؤال: أنى لهذا النصِّ اليسيرِ من الألفاظِ عددًا، الكبيرِ من حيثِ المضمونِ والقيمةُ مددًا، أن يحوزَ هذه المعاني وغيرها مما لم يُفْتَحْ علينا به؟ «تلكَ حِكْمَةُ التُّبُوَّةِ، وَتَبْصِيرُ الوَحْيِ وَتَأْدِيبُ اللّهِ، وَأَمْرٌ فِي الإِنْسَانِ مِنْ فَوْقِ الإِنْسَانِيَّةِ»^(٣).

وصلى الله على النبي محمد وآل بيته، وسلم تسليمًا كثيرًا.



(١) تحفة الأحوذى، ٧ / ٣٩.

(٢) تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر،

٢٨ / ٣٠٤.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،

لرافعي.

نجوم في سماء العربية

الخليل بن أحمد وعبقريته الإبداع العلمي

د/ أحمد سعد الله

إذا ذكر صاحب اليوم عرف أنه رجل العروض والقافية، وأستاذ أساتذة البصرة والكوفة في النحو؛ ومؤسس علم المعجمات العربية؛ فقد اجتمعت لصاحبنا علوم لم تجتمع لواحد قبله، إنه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وقد مكنتني المصادر التي بين يدي من أن ألتقط لك - عزيزي القارئ - صورة من صباه، لتأملها معاً، لنستخلص منها طبيعة هذه الشخصية العلمية منذ نعومة أظفارها.

إن بداية حديثنا عن الخليل ستكون بذكر الفرزدق، ذلك الشاعر التميمي، الذي اشتهر بفصاحته وهجائه لجريز، وجريز هذا من أبرع الشعراء في الهجاء؛ وكان جريز يناضله ثلاثةً وأربعون شاعراً

فينبذهم وراء ظهره ويَرْمِي بهم واحداً واحداً وتبَّت له الفرزدق والأخطل^١ أما الأخطل؛ فلم يكن مثلهما كما يحكي ابن سلام عن بشار بن برد، ولكن ربيعة تعصبت له فأفرطت فيه^٢.

وما يعيننا هنا أن نؤكد أن الفرزدق هذا كان ثاني اثنين في الهجاء لم يكن لهما نظير ثالث، واشتهار الشاعر بهذا النوع من الشعر في ذلك الأوان مدعاة لأن يُخَطَّبَ ودُّه، ويتقى شره، أو فلتقل مدعاة للابتعاد عنه خشية أن تحضره ربة شعر الهجاء فتصب على من حوله أو من يجالسه، وإن لم يكن بينه وبينه عداوة.

غير أن المرزباني في كتابه نور القبس يروي عن صاحبنا فيقول: «قال الخليل: مرَّ بنا الفرزدق ونحن صبيان نلعب، وقد انصرف من

١ - شرح ديوان الحماسة - يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ) - دار القلم - بيروت: ١/ ٤٦٤

٢ - طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي - تحقيق محمود محمد شاكر - دار المدني - جدة: ٢/ ٥٦٤

تستحق الوقوف أمامها، ولعلها هي التي تفسر لنا جرأته العلمية على وضع علمين لم يسبق إليهما في الراجح من آراء العلماء؛ علما العروض والقافية، وتأسيسه لعلم المعجمات العربية الذي وضع الخليل نواته الأولى.

يضاف إلى ذلك حياؤه بعد كبره، وبعد أن بلغ في العلم مبلغا، ذلك الحياء الذي يتضح من كلام أبي العيناء الذي ذكرناه لك: «الخليل قال له هذه المقالة وهو صبي، ولكنه لم يحب أن يحكيه عن نفسه».

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، من ولد شبابة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب^٣.

قال أهل التواريخ والأنساب: لم يسم أحد بعد نبينا ﷺ أحمد قبل أبي الخليل هذا^٤.

٣ - كتاب المتفق والمفترق - الخطيب البغدادي - تحقيق د / محمد صادق الحامدي - دار القادري - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ : ٢ / ٨٦٧

٤ - تهذيب الأسماء واللغات - أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ت

المهالبة وهو على بغل، وكان قبيح الوجه، فجعلنا ننظر إليه، فوقف وقال:

نظروا إليك بأعين محمرة
نظرَ التيوس إلى مُدَى القَصَابِ
فقال له بعضنا: نظرنا إليك
أنك مليح، كما ينظر إلى القرد وهو مليح، فصرف وجه بغلته وانصرف.
- قال أبو العيناء: الخليل قال له هذه المقالة وهو صبي، ولكنه لم يحب أن يحكيه عن نفسه^١.

ويكمل الرواية صاحب كتاب أنساب الأشراف فيقول: «فجعل - يقصد الفرزدق - يفر من أيديهم ويضرب بغلته ويقول: عدس»^٢

لم يخش صاحبنا الفرزدق، ووقف يرد كلامه عليه، وتلك جرأة

١ - نور القبس - المرزباني - نسخة إلكترونية : ٢٥ / ١

٢ - جمل من أنساب الأشراف - تصنيف أحمد بن يحيى بن جابر البلازري ت ٢٧٩ هـ - الجزء الثاني عشر - تحقيق د / سهيل زكار و د / رياض زركلي - دار الفكر للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ : ١٢ / ٩٤، (وعدس) اسم صوت لزجر البغل .

أولاده، فأخرج الخليل إلى رسوله
خبزا يابسا وقال: ما عندي غيره، وما
دمت أجده فلا حاجة لي بسليمان،
فقال الرسول: فماذا أبلغه عنك؟
فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أني عنه في سعةٍ
وفي غنى غير أني لستُ ذا مالٍ
سحى بنفسي أني لا أرى أحداً
يموتُ هزلاً ولا يبقى على حالٍ
والرزقُ عن قدرٍ لا العجزُ يدفعه
ولا يزيدك فيه حولٌ محتالٍ
والفقر في النفس لا في المال نعرفه

ومثل ذلك الغني في النفس لا المال^٣
كان صاحبنا آية في
الذكاء، وكان الناس يقولون: لم
يكن في العربية بعد الصحابة أذكى
منه^٤.

وورد أن يحيى بن خالد بن
برمك، قال: أربعة لم يدرك مثلهم:

والفراهيد بفتح الفاء وكسر
الهاء وبدال مهملة، هذا هو الصواب.
وقال السمعاني: هو بذيال معجمة،
وهو تصحيف بلا شك. وكُتِب العلماء
من الطوائف متظاهرة متطابقة على
أنه بالمهملة. قال الجوهرى في
صحاحه: وكان يونس يقول:
فرهودي، والفراهيد بطن من الأزد^١.
وكان الخليل زاهداً،
متقللاً من الدنيا، وكان يمتنع عن
قبول عطايا الملوك فكان قوته من
بستان ورثه من أبيه

قال النضر بن شميل: أقام
الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على
فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه
الأموال^٢.

ووجه إليه سليمان بن علي
من الأهواز - وكان واليها -
يلتمس منه الشخصوص إليه وتأديب

٣ - ينظر المرجع السابق: ١ / ٥٥٧ ،
وينظر أيضا المجموع اللفيف - أمين
الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي
الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي
ت: بعد ٥١٥هـ - دار الغرب الإسلامي،
بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ: ١ /
١٤٨
٤ - بغية الوعاة: ١ / ٥٥٧

٦٧٦هـ - إدارة الطباعة المنيرية - بدون
تاريخ: ١٧٦/١
١ - نفسه: ١٧٦ / ١
٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي -
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -
المكتبة العصرية - لبنان - صيدا: ١ /
٥٥٧ /

الخليل بن أحمد، وابن المقفع، وأبو حنيفة، والفزاري^١.

واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه^٢.



الخليل والعروض

كان صاحبنا يقول الشعر، ومن شعره:

وقبلك داوى المريض الطيب

فعاش المريض ومات الطيب

فكن مستعداً لدار الفناء

فإن الذي هو آت قريب

ويقال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق له، فرجع وفتح عليه بالعروض^٣.

ويروى أن الخليل كان يقطع العروض، فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: إن أبي قد جن. فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض. فأخبروه بما قاله ابنه. فقال له:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي

أَوْ كُنْتَ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ

لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذْرَتِي

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

وأخبار الخليل وعجائبه

كثيرة، وشعره قليل لأن شغله بالعلم كان أكثر منه بقول الشعر^٤.



روى الخليل عن عثمان بن

حاضر، عن ابن عباس، وعن أيوب

السختياني. وروى عنه النضر بن

شميل، والأصمعي، وعلى بن نصر،

ووهب بن جرير^٥.

٣ - بغية الوعاة: ١ / ٥٥٨

٤ - طبقات الشعراء - ابن المعتز -

نسخة إلكترونية: ١ / ٢٦

٥ - تهذيب الأسماء واللغات - أبو

زكريا محيي الدين بن شرف النووي ت

١ - الأعلام - خير الدين الزركلي

٢ - الجزء الخامس - دار العلم للملايين -

بيروت - الطبعة الخامسة عشرة - ٢٠٠٢ م:

٥ / ٢٩٣

٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان -

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن

أبي بكر بن خلكان - تحقيق إحسان

عباس - دار صادر - بيروت: ٢ / ٢٤٦

وهو أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه؛ وكلما قال سيبويه: «وسألته» أو «قال» من غير أن يذكر قائله فهو الخليل^١.

اشتهر صاحبنا بأدبه وإخفائه لذاته، وحبه لطلاب العلم، فقد ورد أنه كان إذا قدم عليه سيبويه يقول: مرحباً بزائر لا يمل^٢.

كما ورد أن اليزيدي دخل على الخليل يوماً وعنده جماعة وهو على وسادة جالس فأوسع له فجلس معه اليزيدي على وسادته؛ فقال له اليزيدي أحسبني قد ضيقت عليك، فقال الخليل: ما ضاق شيء على اثنين متحابين، والدنيا لا تسع متباغضين^٣.

ويروى أن سيار بن هاني أبا إبراهيم بن سيار النظام جاء بابنه إبراهيم إلى الخليل، وقال: أحب أن يكون هذا الصبي بين يديك؛ فقال الخليل لإبراهيم كالعابث وفي دار الخليل نخلة: صف لي هذه النخلة؛ قال: بمدح أم بدم. قال: بدم؛ قال: هي صعبة المرتقى، خبيثة المجتنى. قال: فصف زجاجتي هذه - يعني كأساً في يده. فقال: أبمدح أم بدم؟ قال: بدم؛ قال: هي سريعة الانكسار، بطيئة الانجبار. فقال الخليل لأبيه: أنا أحتاج أن أتعلم من ابنك هذا^٤.

وقيل: كان الخليل بن أحمد إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يره أنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه^٥.

قال ابن قتيبة في المعارف: كان الخليل ذكياً، لطيفاً، فطناً، واتفق العلماء على جلالته وفضائله، وتقدمه في علوم العربية من النحو واللغة والتصريف والعروض، وهو

٦٧٦ هـ - تحقيق مصطفى عبد القادر

عطا - نسخة إلكترونية: ٢٥٠ / ١

١ - بغية الوعاة: ٥٥٨ / ١

٢ - الفلاكة والمفلوكون - أحمد بن علي بن عبد الله، شهاب الدين الدنجي المصري ت ٨٣٨ هـ - مطبعة الشعب،

مصر ١٣٢٢ هـ: ٦٩ / ١

٣ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي

- دار الكتب العلمية - بيروت: ١٤ /

١٤٦

٤ - نور القبس: ٢٥ / ١

٥ - التاريخ الكبير - البخاري ت ٢٥٦

هـ - المجلد الأول - دار الكتب العلمية

- بيروت - لبنان: ٤٢٤ / ١

السابق إلى ذلك، المرجوع فيه إليه^١، وروي عنه أنه قال:

إن لم يكن لك لحم كفاك خل وزيت
إن لم يكن ذا وهذا فكسرة وبييت
تظل فيه وتأوي حتى يجيئك موت
هذا لعمرى كفاف فلا يفرك ليت^٢.



الخليل وكتاب العين

وبعض العلماء ينسبون كتاب العين إليه، وبعضهم يُنكر ذلك، أما مَنْ ينكر فيقول: «كانت مقطعات جمعها الليث بن المظفر بن نصر بن يسار صاحب الخليل، وزاد فيها ونقص ونسبها إلى الخليل، وهو بريء منها. واتفقوا على كثرة الأغاليط في كتاب العين، وكثيراً مما ينقل الأزهري في تهذيب اللغة عن العين من

الأغاليط، ويقول: هذا من عدد الليث^٣»

وقال السيوطي - عن الخليل - : «وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة. وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم؛ ويروى عنه أنه قال: إن لم تكن هذه الطائفة أولياء لله فليس لله ولي^٤».

فالخليل على هذا الرأي وضع أول كتاب العين، فهو المؤسس لعلم المعجمات العربية، ثم جاء تلميذه وصاحبه الليث فزاد عليه أشياء ضمنها الكتاب ذاته.



وفاته

توفي الخليل سنة خمس وسبعين ومائة، وقيل: سنة سبعين، وقيل ستين، وله أربع وسبعون سنة^٥.

وكان سبب موته أنه فكر في ابتكار طريقة في الحساب تُسهلُه على العامة فدخل المسجد وهو يعمل

١ - تهذيب الأسماء واللغات : ١ / ٢٥٠

٢ - ينظر الثقات - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - تحقيق

السيد شرف الدين أحمد - دار الفكر

- الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م : ٨ /

٢٣٠ ، وينظر أيضا السحر الحلال في

الحكم والأمثال - أحمد بن إبراهيم بن

مصطفى الهاشمي - دار الكتب العلمية

- بيروت : ١ / ٣٠

٣ - تهذيب الأسماء واللغات : ١ / ٢٥٠

٤ - بغية الوعاة : ١ / ٥٥٧

٥ - نفسه : ١ / ٥٦٠

فكره فصدمته سارية وهو غافل
فكانت سبب موته^١.

سبحانك اللهم، هذا هو
الخليل بن أحمد يشب على العلم،
ويشيب عليه، ثم هو يموت ويقبض
عليه، فتكون آخر أنفاسه التي
التقطها من الدنيا شاهدة له بأنه
رجل سلك طريق العلم، لا لينال منه
فحسب، وإنما لייسره لغيره ويورثه.

اللهم ربنا ارحم الخليل،
وتقبل عمله بقبول حسن من لدنك
ورضوان، واجزه عن العلم وطلابه
خييرا.



١ - ينظر المرجع السابق: ١/ ٥٦٠

العربية في حياتنا.. تعليم، إعلام، مجتمع

تدريس المهارات اللغوية

وليد ممدوح عمر

إن الوضع الأمثل في تقديم المهارات اللغوية ألا نقدم للطالب مهارتين مختلفتين في وقت واحد؛ كأن ندرسه على تركيب جمل جديدة من كلمات ليس للطالب سابق عهد بها، فتتشكل أمامه صعوبتان: فهم الكلمات المحدثه وبناء جمل جديدة، مما يربك الطالب ويعجزه، ومن ثم لا تتحقق الأهداف التعليمية المنوط بها تدريس مهارات اللغة الأربع: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة.



أولاً- مهارة الاستماع:

من المتعارف عليه في بدء تعلم اللغة الثانية أن الطالب لا يناسبه افتتاح طريقه التعليمي إلا بالاستماع إلى هذه اللغة الغربية على سمعه؛ فإعمال حاسة السمع في أول الأمر له مقاصد شتى منها: أن يتعرف الطالب إلى النظام الصوتي للغة الجديدة

وطبيعة الفوارق بينها وبين لغته الأم، وإزالة حاجز الرهبة سريعاً والتعامل مع اللغة الوافدة بأسلوب أكثر تفعيلاً عن طريق اكتشاف خصائصها الصوتية وتأمل الرموز والمقاطع وملاحظة المعلم حين ينطقها، فيكتسب الطالب قدراً من الثقة تحفزه على المضي قدماً، وأثبتت التجارب العملية أن استهلال التعلم بعرض مهارة القراءة أو الكتابة يضعف المردود ويزيد من صعوبات التعلم.

أهداف تدريس مهارة

الاستماع:

- التعرف إلى الأصوات العربية والتمييز بينها.
- معرفة الحركات القصيرة والطويلة.
- التمييز بين الأصوات المتجاورة في المخرج والمتشابهة في النطق.
- إدراك العلاقة بين الرموز المكتوبة ومسمياتها المنطوقة.
- فهم الظواهر الصوتية المختلفة كالتون والتشديد.
- التقاط الأفكار الرئيسة وتمييزها عن الأفكار الثانوية.

ز) تخمين بعض معاني المفردات من خلال السياق وإيقاع المتحدث.
ح) محاولة إيجاد رابط معنوي بين أجزاء النص المستمع إليه.

خطوات عرض نص لفهم

المسموع:

بعد اختيار مادة مسموعة ملائمة لمستوى الطلاب، يقوم المعلم بتهيئة طلابه لدرس الاستماع ويوضح لهم طبيعة ما سيستمعون إليه (حوار- مقال - فقرة - إعلان.....)
أ) يؤمر الطلاب بإغلاق الكتب والاستماع إلى ما يتلى عليهم.

ب) عرض المادة الصوتية (مسجلة أو حية) دون إسراع أو إبطاء مع مراعاة نقاء الصوت ووضوح الحروف وصحة الضبط والعناية بالوصل والوقف، والنبر والتغيم.

ج) مناقشة الطلاب فيما استمعوا إليه عن طريق توجيه أسئلة تستوعب النص (مشاهدة أو كتابة).

د) بعد الاستماع والتدريب يقوم الطلاب بقراءة النص جهراً وملاحظة ما أخطئوا في فهمه وينقسم الاستماع إلى قسمين هما: الاستماع المكثف ويكون الهدف منه تدريب الطلاب

على الاستماع إلى بعض عناصر اللغة كجزء من برنامج تعليم اللغة العربية: حتى ترتقي قدرة الطالب على استيعاب محتوى النص المسموع بصورة مباشرة، وهذا النوع من الاستماع لا يجري إلا تحت إشراف المعلم، وهو بذلك مخالف للنوع الثاني من الاستماع وهو الاستماع الموسع الذي يهدف إلى تدريب الطلاب على الاستماع إلى مواد سبق عرضها عليهم، مع تغيير طفيف في بعض المفردات والتراكيب، وكذلك الموقف الذي ستعرض فيه هذه المواد.



ثانياً- مهارة الكلام

عرف الإنسان الكلام قبل أن يعرف الكتابة، والأسوياء من الناس يتحدثون لغاتهم الأم دون أدنى صعوبة، في حين أن نسبة لا يستهان بها منهم قد لا يجيدون الكتابة مطلقاً. والأطفال يجيدون استخدام اللغة في التواصل مشافهة قبل أن يتعلموا الكتابة في المدارس النظامية. فالكلام هو المظهر الرئيسي للغة، وأماً الكتابة فهي محاولة لتمثيله، وما زال بعض اللغات يمارس بصورته

المنطوقة دون المكتوبة في عصرنا هذا في حياة الناس، واللغات إنما تتميز بمدى قدرتها على الانتشار بين قاعدة من المتكلمين قابلة للتوسع المطرد، واللغة العربية يتواصل بها ملايين الناس في العالم، وهي مرشحة لبلوغ مكانة مرموقة بين سائر اللغات الأكثر تداولاً إذا ما عني بتدريس الجانب الشفهي منها على النحو الأمثل. ولعل التركيب الحوارية هو الأشهر بين القوالب الكلامية؛ إذ إنه يمد الطالب بألوان من الجمل والتعبيرات والألفاظ والأصوات التي يحتاج إليها الطالب في سياقات مختلفة، كما أن الطالب يضم بعض التركيبات النحوية في حوار؛ مما يعني أن هذا التدريب يمكن الطالب من ممارسة اللغة بمعظم عناصرها ومكوناتها التي تجري على لسانه لكي ينشئ عن طريقها جسوراً للتواصل مع الأفراد والجماعات. إن المعلم يستهل حوار مع الطلاب بطرح الأسئلة المتعلقة بموضوعات الكتاب، ويتلقف إجاباتهم، ثم يختار من بينهم من يعرض النص الحوارية في قالب سردي يتضمن أبرز ما جاء فيه، ثم

يقسم الطلاب إلى مجموعات - تتألف المجموعة من طالبين أو أكثر - للقيام بأداء علي للحوار أمام بقيتهم بشكل مسرحي، ولا يليق بالمدرس مقاطعة هذه الأنشطة بقصد التوجيه أو التصويب حتى لا يرتبك أي منهم أو يستثقل القيام بتلك التدريبات، بل عليه أن يشد من أزهم ويبعث الثقة في نفوسهم، ويكثر من عبارات الثناء والمدح، ولا يمتعض من ضعف إمكانات طائفة منهم، وقد صادفت كثيراً من الطلاب مصابين برهبة من ممارسة مهارة التحدث وبذلت ما في وسعي لأزيل عنهم آثار ما حسبوه مرضاً مزمناً لا علاج له؛ فمن غير المعقول أن يتعلم الطالب لغة جديدة ويعجز عن التواصل بها.

إن أفضل طريقة لتعليم الطلاب مهارة الكلام هي أن نعرضهم لمواقف تدفعهم إلى التحدث، وهنا تبرز أهمية اختيار الموضوع الذي ستتعقد المحادثة حوله والذي يجب أن يكون من أوسط ما يدرسه الطالب في المراحل التعليمية الأولى، فإذا اشتد عوده فتحت له الأبواب لينطلق متحدثاً فيما يعن له، ففي تلك المرحلة

ثالثاً - مهارة القراءة:

تعد القراءة المصدر الأساسي لتعلم اللغة العربية خارج الصف، وهي مهارة تحتاج إلى تدريبات خاصة ومتنوعة، وينبغي أن تقدم القراءة للطلاب المبتدئ بشكل متدرج انطلاقاً من الكلمة المفردة، فالجملة ذات التركيب المبسط ثم الجملة المركبة من مفردات أكثر، ثم يقرأ الطالب الفقرة التي تتألف من بعض الجمل المتحددة في سياقها، وبعدها ينتقل إلى النص الطويل المكون من عدة فقرات تنتظم تحت عنوان واحد وتتناول كل واحدة فكرة جزئية، ومن البدهي أن يعترض الطالب في بادئ الأمر صعوبات فيما يتعلق بالقراءة الجهرية؛ كالتمييز بين الحركات الطويلة والقصيرة، وكذلك الحروف التي ترد أحياناً صوائت وأخرى صوامت. وللقراءة مهارتان أساسيتان هما: التعرف، والفهم، ويقصد بالتعرف ربط الصوت بالرمز المكتوب والتحليل البصري لأجزاء الكلمات والتمييز بين أسماء الحروف وأصواتها، وأما الفهم فهو

يكون الطالب قد اكتسب القدرة على تحديد عناصر المحادثة واستدعاء المفردات والتراكيب الملائمة لها ووضع الجمل في سياقها الصحيح وترتيب الأفكار التي سيتحدث عنها والتعبير عنها في ضوء استيعابه لألفاظ اللغة وميانيها الصرفية والنحوية. ومن الضروري أن نشير إلى أن الخطوات الأولى في تعليم مهارة الكلام تعتمد على طريقة السؤال والجواب، ويزداد عدد الجمل داخل الحوار الواحد بشكل تدريجي، ليتعرف الطالب على أنماط متنوعة من الأساليب كالاستفهام والأمر والنهي والنداء والتعجب، ويدرك وظائفها جيداً.

إن طريقة القوالب المعدة مسبقاً هي الأنسب لخلق أساس طيب لمهارة الكلام عند الطلاب فهم سيكررون هذه القوالب ثم ينسجون على منوالها، فيتضح لهم شيئاً فشيئاً طبيعة تكوين الجملة العربية وبعض صورها.



محاولة إقامة علاقة بين الألفاظ والمعاني للتوصل إلى إدراك الوحدات الفكرية للنص والتنظيم الذي اتبعه الكاتب واستنتاج الأفكار العامة. وللقراءة نوعان هما

١- القراءة المكثفة، وفيها يعنى المعلم بتتمية قدرة الطالب على الفهم التفصيلي لما يقرؤه وتحسين مهارة القراءة الجهرية لديه من نطق صحيح للأصوات والكلمات وزيادة معدل السرعة في تقديم أداء صوتي سليم ومعبر يعينه على استنباط المعنى وفهم العبارات.

٢- القراءة الموسعة، وتعتمد على قراءة نصوص طويلة يطالعها الطالب خارج الصف بتوجيه من المعلم، وتناقش أهم أفكارها داخل الصف؛ لتعميق الفهم وبذلك يتجرأ الطالب على اختيار ما يريد من الكتب وقراءة محتواه وفهم قضاياها الرئيسية والاستعانة بالمدرس في استيضاح ما تعذر عن طريق النقاش الموسع في قاعة الدرس.

وأما القراءة من حيث شكل الأداء فتقسم إلى: قراءة صامتة يستخدم الطلاب فيها أعينهم لمطالعة

النص وتكوين تصور مبدئي يساعد على معرفة ما يدور حوله، والقسم الثاني هو القراءة الجهرية، وفيها ينطق الطالب الرموز الصوتية المكتوبة ويميز كل وحدة عن تاليها ويحدد بدايات الجمل ونهاياتها؛ ليتمكن من تحليل النص إلى أجزاء ويربط بينها بعلاقة معنوية.



رابعة- مهارة الكتابة:

يأتي دور مهارة الكتابة متأخرا في تدريس مهارات اللغة؛ لأنها تمثل المحصلة النهائية لما استوعبه الطالب واخترنه من العناصر اللغوية، فهو سيخط بقلمه ما استمع إليه وتحدث عنه بالتدريب على رسم الحروف العربية مفردة أو موصلة في مواضعها المختلفة من الكلمة ووضع الحركات، ومعرفة كيفية التهجي ووظائف علامات الترقيم، وبقية القواعد المتعلقة بالجانب الشكلي لعملية الكتابة، والذي قد يتسبب إسقاطه أحيانا في حدوث لبس في المعنى، أما الجانب العقلي للكتابة فهو يختص بالمعرفة الجيدة بالألفاظ ومعانيها وقواعد النحو والتراكيب.

أما النوع الثاني للكتابة فهو ما يمكن أن نسميه الكتابة الإبداعية وفيها يكون الطالب أكثر تحررا من قيود الكتابة الآلية، فلديه الحرية في اختيار الموضوع الذي يرغب في التعبير عنه بقلمه، ويقوم بوضع الأفكار العامة والخاصة له، ويوظف عناصر اللغة لإنشاء ذلك البنيان اللغوي الذي يعبر في النهاية عن شخصيته.



مجالات مهارة الكتابة الآلية:

- أ) نقل الكلمات التي يراها على السبورة في الدفاتر نقلا صحيحا.
- ب) نقل المادة اللغوية من الكتاب المقرر إلى دفتر الواجبات المنزلية.
- ج) أداء مهارة الكتابة عن طريق الإملاء للتأكد من قدرة الطلاب على إتقان الشق الآلي للكتابة.
- د) استخدام الكتابة في التعليق على الصور، والقصاصات التي قد يدون فيها الطالب سؤالا أو ملاحظة.
- هـ) ملء النماذج والأوراق الرسمية (طلب التحاق أو الحصول على منحة دراسية أو.....)
- و) صياغة الإعلانات واللافتات.
- ز) تلخيص النصوص المقروءة تلخيصا وافيا.

مفاهيم بلاغية ونقدية

ومضات نقدية من التراث..

الغموض الفني

لدى عبد القاهر الجرجاني

د. صلاح حفني

فطن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى أن الشعر الجيد لا بد

أن يتشع بقدر من الغموض، هذا الغموض يزول مع القراءة الواعية،

والفكر المتأمل المستتير، وهذا ما دعا إليه كثير من النقاد في زمننا

الحديث. ويستشف من حديث عبد القاهر في أسراره أنه لا يرجع هذا

الغموض إلى ما يتكبل به الشعر من قيود كالوزن، والقافية كما ذهب

إلى ذلك أبو إسحاق الصابي والمرزوقي، وإنما يرى عبد القاهر أن

سر هذا الغموض يكمن في طبيعة الشعر ذاته، ولفته الخاصة المتفردة.

ويتطرق عبد القاهر في حديثه

إلى التفرقة بين الغموض المحمود والتعقيد الذي يكد الذهن، ويرهق

الفكر دون ثمرة مرجوة، وهو في كل ذلك يسوق الأمثلة التي توضح

رؤيته، وتؤيد وجهة نظره. فالغموض المحمود لدى عبد القاهر هو الذي

ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه

بالفكرة، وتحريك خاطر له، والهمة في طلبه، ويحترز عبد القاهر

من أن هذا الغموض لا يبلغ درجة الكد وإرهاق الفكر، فينص على

أنه لم يرد هذا الحد من الفكر والعنت، وإنما يريد القدر الذي يحتاج

إليه في نحو قوله:

فإن المسك بعض دم الغزال

وقوله:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال^(١)

ويعلل عبد القاهر سر جمال

هذا الغموض؛ بأن المتعة الحقيقية، واللذة العميقة، يستشعرها الإنسان

بعد المعاناة، والفكر، وبذل الجهد لاستكناه المجهول، ومعرفة بواطن

الأمر فمن «المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو

الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى،

فكان موقعه من النفس أجلاً وألطف، وكانت به أضن وأشغف»^(٢).

(١) انظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار

البلاغة، ص ١٤٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٣٩.

وثمة شيء آخر يتعرض له عبد القاهر الجرجاني، وهو أن هذه المعاني الشفيفة، وتلك الفكر الخفية لا تجود بنفسها لأول وهلة، أو تفصح عن مكنونها لكل من وقف عندها، وإنما تتكشف للمتلقي ذي الملكة القوية، وصاحب المعرفة الواسعة، فهي «كالجواهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه، ثم ما كلُّ فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه»^(١).

ولذا ينبغي أن يتسلح المتلقي بزاد وفير، قوامه ذوق مرهف، وثقافة عميقة، ومعرفة غزيرة تؤهله، ويعول عليها في تجاوبه مع النص، والتجاور معه، فهذه المعاني اللطيفة «أمور تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليه بثاقب الفهم»^(٢).

وتتجلى براعة عبد القاهر الجرجاني عند تفسيره لهذا الغموض، فهو غموض لم ينجم عن سوء التأليف، وتعمد التعقيد، والتعمية، أو عن تلك القيود التي تحدق بالشعر والشاعر، وإنما هو غموض نابع من طبيعة التجربة الشعرية، ومن لطافة المعنى، ومن تلك اللغة الشعرية ذات الخصوصية، والمباينة لغيرها، التي لا تقف بك عند الصورة الأولى، وإنما تشدك لتأمل ما وراء هذه الصورة من بناء ثان يكون هو المقصود والمراد. يقول عبد القاهر: «هذا، وليس إذا كان الكلام في غاية البيان، وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح، أغناك ذلك عن الفكرة، إذا كان المعنى لطيفاً، فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول، ورد تالٍ إلى سابق»^(٣).

وهذا النص يشير إلى أن الكلام الجيد يحوج إلى الفكر، لأنه غير بَيِّن، وإنما يحوج إلى الفكر للطاقة معناه، ولبناء لغته الخاص، ومن ثمَّ فإن عبد القاهر يشير إلى أن

(١) انظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ١٤١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٩٨.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ١٤٤.

المبدع في هذا الضرب من الشعر يتحمل فيه المشقة الشديدة، ويقطع إليه الشقَّة البعيدة، وهو لم يصل إلى دُرَّة - كما يذكر عبد القاهر - حتى غاص، ولم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتياص^(١).

لقد كان عبد القاهر الجرجاني رائداً، وهو يميز بين الغموض المحمود والتعقيد، أو التعمية، فقد نوّه - كما سبق - بأن الغموض المحمود لطف في المعنى، ما يلبث أن يتكشف عن لآئى، وكنوز لمن يتأمل، ويتدبر، كما أنه دقة في البناء، وعناء فني من المبدع للارتقاء بعمله، أما التعقيد فهو على النقيض من ذلك: سوء صياغة، ومعاظلة في الأسلوب، وتعمية للمعنى؛ رغبة في إبراز المهارة اللغوية، دون أن يستأهل المعنى المتضمن كل هذا، ولذا فهو مذموم، ومرفوض.

وليس فيه دقة بناء شعري، وإنما لم يرتب فيه اللفظ «الترتيب» الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع إلى أن

يطلب المعنى بالحيلة، ويسعى إليه من غير الطريق، كقوله:

ولذا اسم أغطية العيون جفونها

من أنهما عمل السيوف عوامل
وإنما ذم هذا الجنس؛ لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكذك بسوء الدلالة، وأودع لك في قالب غير مستو، ولا مملس بل خشن مضرس، حتى إذا رمت إخراج منه عسر عليك، وإذا خرج خرج مشوه الصورة، ناقص الحسن^(٢).

ويؤكد عبد القاهر هذا المعنى في موطن آخر، حيث ينص على أن «المعقد من الشعر والكلام لم يُذم؛ لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة؛ بل لأن صاحبه يُعثر فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسّم فكرك، وشعبّ ظنك؛ حتى لا تدري من أين تتوصل، وكيف تطلب؟»^(٣).

أي أن الغموض المذموم أو التعقيد في الكلام كما يحرص عبد

(١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،

ص ١٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٧.

فيري فيه تعسفاً في اللفظ،
 وذهاباً به في نحو من التركيب لا
 يهتدي النحو إلى إصلاحه، وإعراباً
 في الترتيب، يعمى الإعراب في
 طريقه، ويضل في تعريفه.
 وهكذا يتبين لنا أن عبد
 القاهر الجرجاني أدرك غموض
 الشعر وطبيعته، وأيضاً أسبابه، وأن
 ماهية الشعر تباين سائر فنون القول
 الأخرى، وقد ورد في تراثنا أن أفخر
 الشعر ما غمض.



القاهر على تسميته بذلك، ينجم عن
 تكلف مؤلفه، وتعمُّله، لا من اكتناه
 الكلام على معنى لطيف، أو من
 براعة في تأليف البناء الشعري،
 يفضي بك إلى دلالات أرحب، وأعمق.
 إن هذا التعقيد لا تحصل من
 ورائه على طائل سوى كد الذهن
 وإعناته، والمرء يزيد «الطلب فرحاً
 بالمعنى، وأنساً به، وسروراً بالوقوف
 عليه، إذا كان لذلك أهلاً، فأما إذا
 كنت معه، كالغائص في البحر،
 يحتمل المشقة العظيمة، ويخاطر
 الروح، ثم يخرج الخرز، فالأمر
 بالضد مما بدأت به؛ ولذلك كان
 أحق أصناف التعقيد بالذم ما يتعبك،
 ثم لا يجدي عليك، ويؤرقك، ثم لا
 يورقك لك...»^(١)

ويستشهد عبد القاهر على هذا
 الضرب ببعض شعر أبي تمام مثل:
 ثانيه في كبد السماء ولم يكن
 لاثنين ثان إذا هما في الغار
 وقوله:

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا
 من راحتك درى ما الصابُ والعسل

(١) المصدر السابق، ص ١٤٣.

٥. سَاعَةً ثُمَّ انْتَحَاهَا وَأَبْلٌ
سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَاوٍ مُنْهَمِرٌ

٦.

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى
فِيهِ شُؤْبُوبٌ جُنُوبٌ مُنْفَجِرٌ

٧.

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَن آذِيهِ
عَرَضُ حَيْمٍ فَجُفَافٍ فَيَسُرُّ

٨.

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ
لَا حَقَّ الْإِطْلَاقِ مَحْبُوكٌ مَمْرٌ

وصف المطر لامرئ القيس بن حجر.. التشكيل والتأويل

د / أحمد صلاح البنا

١. دِيْمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطَفٌ
طَبَقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدْرٌ

٢. تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَذْتَ
وَتَوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ

٣. وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيْفًا مَاهِرًا
ثَانِيًا بُرْتُهُ مَا يَنْعَقِرُ

٤. وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِي رَيْقِهِ
كَرُّوسٍ قُطِعَتْ فِيهَا الْخُمْرُ

٤- الشجراء: اسم لجمع الشجر الكثير،
أو الأرض ذات الشجر الكثير. ريقه: أول
المطر. الخمر: العمام.

٥- انتحاهها: اعتمدها. الوابل: المطر
الشديد. الأكناف: النواحي. واه: متخرق
متشقق بالماء. منهمر: منسكب سريع
السييل.

٦- راح: عاد بالمطر في آخر النهار. تمرية:
تحركه وتديره. الشؤبوب: دفعة المطر
وشدته. منفجر: متفتح بالماء سائل.

٧- نج: صب. آذيه: كثرة موجه خيم
وجفاف ويسر: مواضع.

١- الديمة: المطر الدائم. الهطلاء: الكثيرة
الهلل. الوطف: الدنو من الأرض. طبق
الأرض: تطبق الأرض وتعمها كلها. تحرى:
تتعمد المكان وتثبت فيه. وتدر: يكثر
ماؤها وترسل درتها.

٢- الود: وتد الخيمة، أو اسم جبل.
أشجذت: أفلعت وسكنت. تشتكر: تحتفل
ويكثر مطرها.

٣- البرثن: بمنزلة الإصبع من الإنسان. ما
ينعقر: لا يصيبه العفر وهو التراب.

تجميع لقطات في حركة رأسية
تبتدئ بالسماء وتنتقل إلى الأرض
لتصف أثر السماء فيها.
فإذا نظرنا إلى المشهد الأول،
وجدناه يعرض له بقوله:

دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ
طَبِقُ الْأَرْضِ تَحْرَى وَتَدْرُ

تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَدَتْ
وَتُؤَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ

وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا
ثَانِيًا بُرْتُهُ مَا يَنْغَرُ

وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِي رَيْقِهِ
كَرُّوْسٍ قُطِمَتْ فِيهَا الْخُمْرُ

فالشاعر يبدأ قصيدته بوصف
السحاب وما ينتجه من مطر، فيصف
هذا المطر بما يحدد زمانه وكمه
ومسافته من الأرض ومساحته
وحركته. والغالب على هذا الوصف
توظيف الأسماء (ديمة، هطلاء، فيها
وطف، طبق الأرض)؛ وذلك للدلالة
على ثبوت الصورة واستغراقها وقتاً

حازت هذه الأبيات إعجاب
القدماء شعراء ورواة، حيث حدث
الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه
سأل ذا الرمة - الشاعر الأموي - فقال:
أي الشعراء الذين وصفوا الغيث
أشعر؟ فقال: قول امرئ القيس، ثم
أنشده هذه القصيدة.

ولم يقدم لنا ذو الرمة ولا من
روى عنه القصيدة تعليلاً لهذا الحكم
ولا تحليلاً مفصلاً لتلك القصيدة؛
مما يغرينا باستبطانها رجاء أن تقدم
تحليلاً وافياً لها يصلح لأن يكون
تعليلاً لحكم القدماء.

ويلاحظ - بادئ ذي بدء - على
هذه القصيدة أنها تنقسم إلى
مشهدين أساسيين إضافة إلى مشهد
النهاية، يستغرق المشهد الأول أربعة
أبيات، في حين يشغل الثاني ثلاثة
أبيات، أما مشهد النهاية فلا يحتل
سوى بيت واحد.

ويصور المشهدان الأساسيان
مرحلتين متتاليتين من مراحل المطر
التي يعمد الشاعر في كل منهما إلى

١ يحملني في أنفه: أي في أول هذه المطرة.
لاحق الإطلين: فرس ضامر الكشحين.
محبوك ممر: مدمج الخلق شديد.

طويلا دون أن يصيبها تغير يذكر. أما الفعلان (تحرى، تدر) فالواقع أن أولهما جاء ليعطي حيوية لهذه الصورة الثابتة من خلال التشخيص، حيث جعل الشاعر من هذه السحابة الضخمة إنسانا تحرى هذا المكان حتى وقع عليه، فاخصه بذلك المطر دون غيره، أما الفعل الآخر فقد جاء تكرارا لصفة أراد الشاعر أن يزيدها أهمية لأنها مناط الإعجاب الأول، وهي صفة الكثرة التي عبر عنها من قبل بالصفة المشبهة (هطلاء)، وأوحى بها من خلال تكثيف الأصوات المفخمة، خاصة الطاء والقاف والضاد.

ثم تأتي الأبيات الثلاثة التالية ليبين الشاعر خلالها أثر هذا المطر على الأرض، فيعرض لثلاث لقطات مختلفة، أولها لجماد (الود) وثانيها لحيوان (الضب) وثالثها لنبات (الشجاء).

وأكثر ما يلتفت النظر في اللقطة الأولى هو الأفعال الموظفة فيه، فإسناد الفعلين (تخرج) و(تواري) إلى المطر - مع ملاحظة تناقضهما - يوحي بمدى ما كفلته كثرة المطر له من تحكم في الأوتاد مهما علت، ومجيء الفعل (أشجذت) بصيغة الماضي يدل على قصر وقت حدوث الفعل وانتهائه وذلك إذا ما قارناه بالفعل المضارع (تشتكر) الذي يدل على الغلبة والتجدد والاستمرار، وهو ما يتوافق مع البيت الأول.

أما تركيب هذه اللقطة، فقد بنيت على جملتين شرطيتين متناظرتين عمدت لهما أداة الشرط (إذا)، فكلتاهما تقدم فيها جواب الشرط على فعل الشرط؛ مما يتوافق مع بناء الصورة، فاهتمام الشاعر منذ هذا البيت متجه إلى أثر المطر المتمثل في مراوحته بين (تخرج الود... وتواريه) لا إلى وصف كثرة المطر التي سبق أن أشار إليها في البيت السابق.

الشاعر عمد إلى إتمام الصورة ماديا دون اهتمام بالأثر النفسي الذي تثيره صورة الرؤوس المقطعة وما يفوح عنها من رائحة الموت والدم.

وبذلك ينتهي المشهد الأول من القصيدة أو المرحلة الأولى من مرحلتي المطر المتتاليتين اللتين يصورهما الشاعر.

ويبدأ المشهد الثاني الذي يقول فيه الشاعر:

سَاعَةً تُمْ أَنْتَحَاهَا وَأَبْلُ
سَاقِطُ الْأَكْنَافِ وَاوِ مُنْهَمِرُ

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا تُمْ أَنْتَحَى
فِيهِ شُؤْبُوبُ جُنُوبٍ مُنْفَجِرُ

نَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيهِ
عَرَضُ حَيْمٍ فَجُمَافٍ فَيُسِرُ

وبالموازنة بين وصف السحاب والمطر في السماء في كلا المشهدين، يتبين من ناحية كمية أن الوصف في المرحلة الثانية استغرق ضعف وصف المرحلة الأولى (بيتان لبيت واحد)،

فإذا انتقلنا إلى لقطتي (الضب) و(الشجراء)، ألفينا الشاعر يدخل فيهما العنصر البشري المتمثل في المتلقي من خلال إسناد فعل الرؤية له (وترى)، وهو الفعل الذي يجعل المتلقي شريكا للشاعر في رؤيته، فيقر له بما يذكره ويصوره. كما أن تكرار هذا الفعل في صدر البيتين اللذين يصوران هاتين اللقطتين يقيم بينهما رباطا لفظيا، يسهم في ترتيب لقطات المشهد الواحد.

وإذا كان الشاعر جعل من لقطة الوتد لقطة حيوية متحركة من خلال توظيف الأفعال المتضادة (تخرج... وتواريه) و (أشجذت... تشتكر)، فإن حركة الضب نفسه كفته مؤنة ذلك، فما كان على الشاعر إلا أن يجسد لنا تلك الصورة.

أما مشهد (الشجراء)، فعلى الرغم من ذلك التشخيص الذي لجأ إليه الشاعر في الشطرة الثانية، فإن سمة الحيوية قد غابت عنه؛ وذلك لأن

وصف مطر هذه المرحلة خمس مرات في مقابل مرة واحدة للفعل المضارع، وذلك في مقابل غلبة الفعل المضارع على المرحلة الأولى بالنسبة نفسها مقارنة بالفعل الماضي لتجسيد الصورة أمام عيني المتلقي.

وإذا كان الشاعر استحضر المتلقي بطريقة مباشرة في المرحلة الأولى ليشاركه الرؤية والنظر فيما يتعلق بأثر المطر على الأرض، فإنه في هذه المرحلة يستدعي حاسة السمع عنده بطريقة غير مباشرة ليتمثل صورة السحاب والمطر وهما في السماء، فهو لا يطلب منه الاستماع مباشرة، وإنما يحسن توظيف الأصوات للقيام بهذه المهمة، فالبيتان الأولان هما أغنى أبيات القصيدة بحروف المد، حيث يحوى كل منهما سبعة أصوات مد بينها من التباعد ما يتيح وقتاً للمتلقي ليتمثل الصورة، أما مقاطع كلمة (شؤ / بو / ب) في الشطرة الثانية من البيت الثاني، وكثرة الأصوات الانفجارية والمركبة

وربما كان ذلك راجعاً إلى متطلبات المشهد نفسه، فقد اتسم المشهد الأول بالثبات الذي دل عليه كثرة استخدام الاسم في مقابل الفعل، وكذلك تعبيره عن زمانه بقوله (ساعة)، أما المشهد الثاني فقد اتسم بالتغير والتحول مع طول الفترة الزمنية، فقد بدأت هذه المرحلة بـ(وابل)، استمر إلى آخر النهار - والدليل استخدام الفعل (راح) - حتى هبت (الصبا) فأخذت فترة في إعادة تشكيله وتجميعه - ودليل ذلك حرف العطف (ثم) - حتى سقط المطر في دفعات قوية شديدة. كما يتبين من جهة كيفية أن سمة هذه المرحلة الغالبة هي قوة المطر وشدته، وذلك بين في (وابل، واه منهمر، شؤبوب، منفجر)، وذلك بخلاف سابقتها التي اتسمت بالكثرة والغزارة.

وربما كانت سمة القوة والشدّة هي الداعية إلى تغليب توظيف الفعل الماضي الموحى بضرورة وقوع الحدث وانتهائه، حيث ورد في سياق

المتحركة في هذا الشطر عامة (فيه) **شُوَيْبُ جُنُوبٍ مُنْفَجِرٍ**، فإنها توحى بقوة دفعات هذا المطر المتتالية.

وفي مقابل اتساع الرقعة المخصصة لوصف السحاب في هذه المرحلة، تتقلص المساحة الخاصة ببيان أثره على الأرض، فلا تتجاوز بيتا واحدا يصور فيه الشاعر ما بلغته أمطار المرحلتين جميعا من كثرة وقوة، وهو ما يوحي به الفعل (ثج) دلاليا وصوتيا، وكذلك جعله من هذه الأماكن المترعة بالماء بحارا ذات أمواج (آذيه)، إضافة إلى تقريره سرعة امتلائها بالماء، وذلك من خلال توظيف (الفاء) الدالة على السرعة للعطف بينها (عَرَضُ خَيْمٍ فَجُفَافٍ فَيَسْرُ).

أما المشهد الختامي للقصيدة فيتمثل في قول الشاعر:

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ

لاحقُ الإِطْلِينَ مَحْبُوكٌ مُمَرٌّ

وهو مشهد يحمل ظهورا مفاجئا للراوي - الشاعر - الذي يحرص على أن يثبت صدق ما روى، وذلك من خلال توظيفه الفعل (غدا) الدال على خروجه لمعايشة هذه الصورة منذ الصباح الباكر، وبمقابلة هذا الفعل بالفعل (راح) في البيت قبل السابق، يتضح أن الشاعر قام في البيت الأخير بارتداد (فلاش باك) ليغلق الدائرة الزمانية، ويؤكد إحاطته بالحدث من مبدئه إلى منتهاه.

ولا يظهر الشاعر مجردا في هذا المشهد، وإنما يبرز لنا فارسا ممتطيا جواده الذي وصفه بصفات ثلاث دالة على الثبات والقوة (لاحقُ الإِطْلِينَ مَحْبُوكٌ مُمَرٌّ)؛ وذلك إمعانا في تأكيد معاشته الحدث، فلربما لولا ما تمتع به هذا الفرس من قوة ما استطاع الشاعر الحركة والانتقال لإخراج هذه الصورة المتكاملة.



شوارع من أسايا
ك (أنا) لاك (أنت) لا
كأي مغفرة أُحيطتُ
بالخطايا!

يكتبنا الأنت لنكتب الأنا
الحائرة بين السؤال والجواب بين
الواقع والخيال لتقف على شفا برزخ
يفصلها عن حقيقة وجودية تتلهف
لمعرفتها ولا تستطيع احتضانها فيبقى
الجواب حيرة والسؤال سيف كلمة
شاعر ينزف الوجع مع ذكريات
حاضرة مرسومة على ملامح حبيبة
غافية غائبة في وجدان الذات
الإنسانية.

إلى أين يا أنت؟ أيتها المفقودة
الموجودة الحاملة الناعسة بين أحضان
المعاني المتوشحة بالخفاء على أرض
الأبجدية.....؟ وينطق لسان حال
قصيدة تتأشد الحضور فيجيبها
الفقد، تبحث عن سعادة اللحظة،
فيجيبها وجع الوجود الكامن في
الأنا، لتكون الأنثى صورة غادرها
المعنى ومعنى بدون ملامح، صفة
لموصوف فقد حضوره، أو حضور فقد
معناه..... وتعود بنا الذاكرة إلى

تفاصيل وحدة وجودية لمشاعر جارفة
تواقة للانعتاق تتخلق على أرض واقع
يجسد حقيقة ثنائية الخلق الأول،
ليتوحد المكان والزمان وتولد اللحظة
الفارقة، الخارقة لواقع الأنا فيكون
للمطلق خيال حقيقة، وللحرف معنى
الوجود، وللكلمة صورة حسناء
تتجلى على قلب شاعر، وللقصيدة
ملامح اخترلت لحظة الخلق الأول
على أرض إنسان الكون..... يخترق
النداء صدهاء ليكون زلزال الأنا
حضور في وجدان المتلقى، وصوت
يدوي في أرجاء إنسان
الفقد...ياااااااااااااااااااا أنت.....

قصيدة تقول لنا إنها.....
هي.... كانت هنا لتغادر ملامحها
الشاعر ويبقى شذاها ذكرى محملة
بوجع ذكريات اللحظة الأولى، لحظة
انثيال الإحساس الجارف بأنثى
الوجود الأول وولادة صفاء يحتضن
طبيعة خلقها الحب فكانت أرض
وجد وهيام.....

يجعلنا الشاعر أحمد عبد
الغني الجرف نفتحم عالمه المشبع
بالفقد وجنون اللحظة المبدعة
والخلاقة لموسيقى شاعرة تخترق

جدار صوت الأنا، ليكون للحضور
جمال آخر، وللقد معنى الوجود
وللصورة أرض تحتضن حركة
محمومة لحيرة شاعر فقد أنه ليقول:
يا.. (أنت) !! واحترقتُ (أنايا)! يا..
(أنت) يا معناي.. يا.. يا..
جُرِدْتُ مِثِّي كِي أَكُونُكَ، هل
ظفرتِ بمحتوايا ؟

أوشكتُ - حَتَّى فِي خَطَابِي -

أَنْ أُوَاجِهَنِي بِلا (يا)

أحرقْتُ كُلَّ بَدَايَةٍ وَخَذَلْتُ

عِنْدَكَ مُنْتَهَايَا

وطمستِ رائحةَ الغرام، ذبحت

أشجانَ الرُّوَايَا

يحترق المعنى في أتون الغياب

لتبقى الكلمة شاهدا والأنتِ نداء

يحتضن صدها قصيدة ناشدها فقد

فاستجابت القواي في لتكون اليا.....

قفلة ونوتة موسيقية تعبر عن شجن

الشاعر واختفاء الكلمة الاسم ليبقى

المعنى وجعا ينزف حيرة تذوب فيه

الأنا..... تتلاشى مفرداته القادرة على

تشكيل عالم آخر له سلام دائم

ديمومة سعادة الخلق الأول، لكن

إنسان الحاضر، في ذاته عالم ما بعد

الغواية حمل في ثناياه خلوداً زائفاً

سرعان ما تبخرت مفرداته ليبقى
لسراب اللحظة احتراق على أرض
التيه ووحدة في زمن تكاثر الحكايا.

للمعنى ياء تحدد هوية

الكلمة ووجودها ففي ظل احتراق

"أنا" الكلمة يغيب المنادى ويبقى

النداء صوت بدون صورة، ومعنى فقد

الكلام وكلمة غفت في أحضان

الصمت، هي الياء التي تغادرنا ليبقى

الفقد سيذا، والحضور غياب،

والمحتوى سراب كلمة، وعطر لمعنى،

وذكر له صمت الذكريات.....

يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن

عربي:

كل ذلك وأشباهه في أبواب

مبوبة في هذا المجموع وأشكال

منصوبة بصناعة عملية ليُقرب على

الطالب مأخذ الفوائد والمعاني منها

ويتصور المعنى في نفسه صورة

متجسدة تُسهّل عليه العبارة عنها لقوة

حصولها في الخيال ويحرص الناظر

على استيفاء النظر حتى يقف على

كلية معانيها إذ المعنى إذا أدخل في

قالب الصورة والشكل وتعشق به

الحس وصار له فرجة يتفرج عليها

ويتتزه فيها ذلك الشكل فيؤديه ذلك



إلى تحقيق ما نصب له ذلك الشكل
وجسدت له تلك الصورة ولهذا ما
أدخلناه في التصوير والتشكيل.
(إنشاء الدوائر الصفحة ٣).

هكذا نرى أنّ قوة المعنى
تكمن في حقيقة يمتلكها الشاعر
لثمكته من مفرداتها، يرسمها
الخيال صورة تحتويها الرؤية
فتجسدها اللغة الشاعرة على أرض
القصيدة لنرى أنّ قوة تدفق المعنى
الملمه للشاعر أفقدت الخيال القدرة
على رسم الصورة ليقف الشاعر أمام
صمت الكلمات وكأنه أمام حقيقة
لها نور يبهر العين لتبقى اليا..... معلقة
صوت سابع في عالم الملكوت لمنادى
مجهول الهوية والأنت ضمير حاضر
غائب.

حضور اليا..... واختفاء
المنادى يجعل الخطاب يتيما بلا انتماء
والمخاطب حاضر غائب موجود
مفقود.

يحتضن التيه مشاعر الإنسان
لتصبح بمثابة رمال متحركة تحترق
في أتونها بداية سعادة اللحظة
ومنتهاها، لتبتئنا الصورة والكلمة
والقصيدة عن حيرة شاعر يعيش

إشكالية التعبير عن سر معنى نقطة
هي اختزال لفلسفة الوجود.
يتخلل القصيدة نفس صوفي
يجعلها تنبض حبا وحياة، تتحرك
الصورة الشعرية ويكون لها ترميز
إلى مفهوم الإنسان الكامل الجامع
لجميع العوالم الإلهية والكونية
بكلياتها وجزئياتها ليعبر الشاعر
بالمعنى الموجود لصورة مفقودة، عن
بداية تحتوي نهايتها لنعيش على أرض
القصيدة مشاعر جارفة تحترق عند
ولادتها فيكون الخذلان منتهاها
وكان حياة الشاعر العاطفية انطلقت
وتوقفت في نفس المكان.

فمن رحم طبيعة أرض
الأنثى، إلى رحم أرض التراب نرى أنّ
الإنسان ينطلق من نقطة ليعود إليها
وبين نقطة البدء والنهاية يعطر عالم
الشاعر رائحة غرام وأشجان زوايا
تشعل شموع أسئلة تحترق بين نقاط
استفهام لا جواب لها ليقول:

أين اشتعالك في دمي ؟ أين

انغماسك في السجايا ؟؟

أين القصيدة ؟ أين ما لحنت

واقترفت يديا ؟

أين الحكايات التي شيدتني فيها

حكايا ؟؟

أين انسكابُ كنتِ تحمّلين في

فمه ظمأيا ؟؟

تترعب الأنثى على عرش القلب
لتحتل كل المساحات يجسد وجودها
شعر شاعر لا يستطيع التخلي عنها
ولا احتضانها. يشقيه حنين ويطيح به
وجد، فهو الأصل الذي يحن إلى
فرعه، وهو الوليد الذي يتوق إلى
أمه، وهو الحبيب الذي يبحث عن
حبه إلى أن ينتهي به المطاف فيدخل
في حالة تماء لتكون الأنا أنت والأنت
صورة تحتل الأنا لتذوب فيه وتجري
منه مجرى الدم وتسري في عروقه
سريان النار في الهشيم ليكون له
اشتعال يجعله طريح سؤال غامض
غموض حاله... أين انغماسك في
السجايا ؟ سؤال غريب غرابة موقف
غير مدرك الجواب لأنه يوحي بخروج
الأنثى عن طبيعتها الفطرية والتي
تشكلت في صورة أنثى قصيدة
لحنتها وأقترفتها يد شاعر مقيم في
حضورها والغياب، يحن إلى حكايا
شيدته حكايا لتتماهى الأم مع
الحبيبة وكأنها امتداد لوجودها.....
صورة تجعل الشاعر ينتقل بين عالمين

الأول عالم خلق فيه، والثاني عالم
شيدته خياله ليكون موصولاً بالأول لا
يستطيع الانفصام عنه، مقطوعاً عن
الثاني لا يستطيع الوصول إليه،
ويبقى السؤال عطش ظمأى يبحث
عن الارتواء أمام صحراء الجواب
ليقول:

أولم تكوني تهتمين: تعال،،،

خذني يا فتايا ؟

أخذلت كل الشوق هذا ؟ من

سيحتضن المرايا ؟

مزقت قلباً ممزقاً في نبضه تُروى

المنايا !!

للأنثى إغراء وتمنع ولشاعر
القصيدة انكسار لا يفارق خياله،
يتضاعف الشوق لحبيبة خذلتها الرؤيا
فغابت أمام مرآة الخيال وفقدت
القدرة على التماهي مع مشاعر شاعر
أصبح يعيش معاناة التمزق ووجع
يلازم قلباً تُروى في نبضه المنايا...
يجتاح الشاعر إحصار وجداني يفقده
الإحساس بلذة الحياة في عالم صنعه
خيال الواقع ليتوق إلى أخرى وكأنه
يحتمي من معاناته بموت يجعله يفقد
الحس بالألم ليتخلق من جديد ويجتاز
ما به من تمزق، بين الشيء ونقيضه

تعيدنا الصورة الشعرية إلى ما جاء في

القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُم

إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ

جَدِيدٍ ﴿٧﴾ (سبأ: ١٧)

أمام حيرة وجودية تجعل من

الشاعر ساحة تتفاعل على أطرافها

نقاط استفهام تناشده الجواب، وأمام

عطش وتشرذم الذات لمشاعر حب

خلقت بها لتحيا معها، نجد الشاعر

يحتمي بالخيال ليُخلِّق الكلمة

المعنى، والقصيدة الأثني، ويتوارى من

واقع حال يعيشه ليبحث عن مآل

يصبو إليه، ولحظة سعادة يخلد إليها

ليقول:

لَمْ يَا بِنَةَ الشَّمْعِ احْتَجَبْتِ عَلَيَّ فِي

وَهَجِ النَّوَايَا ؟

و أنا..... تركتُ العالمين..... وجئتُ

مُستبقاً عمايا

قدري: أنكساري !! أين طيفُ

حبيبةٍ ملأتُ رؤياي ؟؟؟

أوااااه !! يا وجمي !!.. وكلُّ أحبتي

خذلوا ندايا... ..

..... و.... ملئتُ بالأحبابِ حتَّى لم

أجدُ حولي سوايا

للنوايا وهج وللخيال صورة

لحبيبة سكنت وجدان شاعر لتصبح

بنينا يتماهى بياضها الناصع مع شمع

حمل ذات يوم في ثناياه رحيق زهر له

عطر نوايا صارت ذات احتراق وهجا

تذوب له المشاعر ويحجبها الخفاء.

للشاعر لهفة وللحبيبة صد.....

أهو الدلال المتمنع أم الحياء المغري؟

أسئلة تحجب رؤية شاعر ترك حياة

الصخب لينعم بالقرب، وهو الذي

يستبق قدره ويترك الانكسار ورائه

ليجد السراب أمامه..... يختفي طيف

الحبيبة ليسكن خيال الرؤيا وهم

الواقع، ويبقى الوجد مقيما له كمون

الجبال، وصرخة الاحتراق ووجع

الحنين أمام مرارة الفقد وخذلان

الأحبة فرغم الصور المتكاثرة التي

تسكن الشاعر ووجدانه يبقى لثنائية

الوجود طعم آخر لا يعرفه غير أهله،

فعلى أبواب غياب الحبيبة يقول

الشاعر (لم أجد غيري سوايا) صورة

تتجلى على قسماتها حقيقة يعيش

الإنسان حالها لأنها تسكنه يشعر من

خلالها بالوحدة فتصحبه الغربة

ليتعرف على حقيقة وجود خلق فيه

فردا ليغادره فردا.

للإيحاء شفافية وللإبداع
معنى وللصورة رمز، وللكلمة
تجليات يستعملها الشاعر ليفصح عن
وجود يسكنه وعن حزن لا يعرف له
فراق، وعن حب أقام فيه وتخلله لا
يدرك له بداية ولا نهاية ليصبح جزءاً
منه ليقول:

من أجل ساكنة دمي أمضي.....

وأذرفني خالياً

بيضاء من طول البكاء أمام

أقمصة الصبايا

صفراء من طول احتراقي عند

أقدام الهدايا

كالذئب من طول العناق

لذكريات من شظايا

كاللحم من طول انتظاري في

شوارع من أسايا

ك (أنا) لك (أنت) لكأي

مغفرة أحيطت بالخطايا !

يحترق الشاعر عشقا لأنثى
تسكنه معنى وتتخلى عنه كيانا،
تحتويه ليكون بعدها نارا حارقة
يذرفها خالياً بيضاء أمام أقمصة
الصبايا..... تعود بنا الذاكرة إلى
قميص يوسف عليه السلام وبياض
عيني سيدنا يعقوب تختلف المواقف

ليبقى الحزن واحداً، يتماهى مع
ألوان الطبيعة الإنسانية وتقلباتها
تبيض خلايا الذاكرة تارة وتصفّر
أخرى تحت وطأة احتراق النفس مع
ذكريات تشظت أمام نار الجحود.

يتمثل الشاعر نفسه مدينة
سكنها الحزن ورسم شوارعها
الأسى، ليكون فيها خيالاً سائحاً،
تاهت منه الأنا ليتلاشى وجود الأنت
في زحمة الحكايا ويتوارى في ثنايا
الذاكرة.

يختم الشاعر القصيدة
بصورة فريدة ضمّنها معاناته كفرد
ليختزل فلسفة الوجود في المحيط
الإنساني، فيكون هذا البيت
كالنقطة التي اختزلت مياه البحار:

ك (أنا) لك (أنت) لكأي

مغفرة أحيطت بالخطايا !

تتقلنا الصورة إلى عالم آخر
لتحيط بنا قصة سيدنا آدم ونتذكر
جنة الخلد ونعيمها، والغواية
وجحيمها، والخطايا والمغفرة، لأقول
هل شقاء المحبين هو نتيجة السقوط
في جب الغواية؟ أم أنّ الشقاء أمر
مكتوب على أهل الأرض؟

دامس ليطفو على سطحه ويعانق
خيوط الشمس، فبين الظلمة والنور،
يتنقل الشاعر بحرفية اللغوي المتمرس
والمتمكن من ريشة الرسام البارِع،
ليُلقي المعنى الحي في روع الصورة
ويحدث شرخا بين عالمين يصعب
تجاوزه... بين من يكتب الشعر
انطلاقا من واقع الخيال، ومن
يكتب الشعر انطلاقا من خيال
الحقيقة.

للوابع ظلمة وللحقيقة نور
يجعل للمعنى تجليات، وللصورة
الشعرية حركة وحس على أرض
قصيدة تصبح أهلة بأرقى المشاعر
وأصدقها تتفاعل وتأثر في كل من
يكون بين يديها، تسكن وجدانه
فيشعر بروعة جمال الصورة وعذوبة
حلاوة معنى له نماء في عقل وفكر
يعزف لحن شاعر تتهادى على إيقاعه
قوافل القوافل لتقول لنا كنت هنا...
لأنها ال(أنا) التي تكتب
ال(أنت)... ولأنّ القصيدة وبكل
تلقائية الكلمة... أنثى.



يبقى للشاعر حيرة أمام أسئلة
وجودية لا يستطيع التخلص منها
ليتذكر صورة أنثى سكن رحمها
وهو علقه لتسكن فواده وهي
مضغة، تتشأ بين جنبيه يحن إلى
قربها ووجودها حوله حتى يبعثها الله
تعالى على أرض الواقع لتكون حواء
فرع يتوق إلى أصله.

اختزلت القصيدة معاناة
الشاعر الإنسان لتعود بنا ذاكرة
الصورة إلى حياة الخلق الأول (آدم
وحواء) يسري بنا خيال الشاعر ويعرج
من أرض الواقع إلى سماء حقيقة
عرفها في يوم من الأيام ليعيش لحظة
تجلي على أرض قصيدة، أرهقها
فأرهقته، أرقته الذكريات فأرق
أنثاه... مزج بين الحقيقة والواقع
وكان الخيال حاضرا بينهما يوقد
شموع الرؤيا ليتوقف الزمان على
أرض خلقت لتكون الثابت المتحرك
تشهد أحداثا تتكرر ولا ينقضي
أمدها فمع كل صرخة طفل يولد،
يخلق إنسان جديد حاملا لميراث
إنسانية تنزفه خلايا عبر سني عمره.

للقصيدة حياة وروح من روح
شاعر يغوص في عمق محيط ظلامه

أثار قيِّمة

مارية القبطية

تحقيق في سيرتها وموطنها

للعلامة حفي ناصف

تقديم وتعليق/ عبد الفتاح جمال

تعريف بالبحث

هذا البحث قدمه العلامة الدرعمي حفي ناصف رحمه الله في مؤتمر المستشرقين^(١) سنة سنة ١٩١١م في بلاد أثينا بصحبة الأمير أحمد فؤاد - ولم يكن ولي سلطنة مصر بعد - وأمير الشعراء أحمد شوقي

(١) مؤتمر المستشرقين أو مؤتمر المتعربين أو علماء المستشريات هو عادة جرت لعلماء المشرقيات أنهم يعقدون مؤتمراً عاماً في كل سنة أو سنتين ويتخبون له بعض البلاد المشهورة موطناً للاجتماع . مجلة لغة العرب (ج ٦ / ص ٧٩٤) ، مجلة الزهراء (المجلد الرابع / ص ٤٩٤ ، ٤٥٠) ، الهلال العدد ١٣ من السنة الثانية عشرة، ١ إبريل ١٩٠٤ - ١٥ محرم ١٣٢٢ .

بك وشيخ العروبة أحمد زكي باشا والعلامة أحمد عمر الإسكندري.

تقدّم فيه بهذا البحث وبحث آخر في رقيم عربي من بلاد اليمن^(٢).

وسبب البحث كما ذكر في مقدمته أنه أراد أن يحقق الصواب في ضبط حاء حفي، هل هو بالكسر كما هو الشائع أو بالضم كما سمعه من أهل الصعيد أو بالفتح كما سمعه من الشوام، فأراد أن يعرف أي الأقوام أصح نطقاً وأمتن ضبطاً، فشرع في البحث في القاموس فلم يظفر بشيء، ثم وجد في معجم البلدان ما نصه «حفن بفتح الحاء ناحية من نواحي مصر، وفي الحديث: أهدى المقوقس إلى النبي ﷺ مارية من حفن من رستاق أنصينا»، ووجد اسم قرية أخرى من قرى مصر تدعى (حفنا).

وبعد أن حقق ضبط اسمه، وجه البحث من حفن إلى أنصنا التي أهدى المقوقس منها مارية إلى النبي

(٢) مجلة لغة العرب (ج ٢ / ص ٢٥) . لم أعر على هذا البحث ولم يشر إليه محمود غنيم في ترجمته لحفي ناصف .



ﷺ، فرجع إلى كتاب الانتصار لابن دقماق فوجد فيه: «وأنصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمة... وهي على ضفة النيل الشرقية قبالة الأشمونيين»، فذهب إلى قرية الأشمونيين بالمنيا فعرف من أهل القرية كثيرا من المعلومات التي استند إليها في بحثه عن قرية مارية القبطية سرية رسول الله ﷺ، وانتهى إلى أن قرية حفن هي القرية المعروفة الآن بالشيخ عبادة^(٣).

ثم فصل الكلام على مارية رضي الله عنها، وقصة إهدائها للنبي ﷺ، والهدايا التي أهداها المقوقس إليه غير مارية رضي الله عنها.

وثم تحدث بإيجاز عن الرق في مصر وأنه لم يكن مقيدا بقيود الشريعة الإسلامية بل كان الاسترقاق واسع النطاق فكان

(٣) وقد رفض هذا القول محمد إبراهيم الفحام في بحث نشره بمجلة منبر الإسلام في العدد ٥ من السنة السابعة والعشرين جمادى الأولى ١٣٨٩م بعنوان "مارية القبطية وموطنها في مصر"، ورفض استناد حفني ناصف لروايات أهل القرية: "ولا تصلح الروايات التي يتوارث أبناء القرى ترديدها مصدرا لاستنباط الحقائق التاريخية".

يحصل بالحرب والاختطاف والعجز عن أداء الدين وغير ذلك. وختم بحثه قائلا: «وكما أهدي إلى محمد جارية من مصر أهدي لجده إبراهيم جارية منها وهي هاجر أم إسماعيل فيحق لنا نحن المصريين أن نفخر بمصاهرة هذين الرسولين الكريمين وندل باتصالنا بمقاميهما الرفيعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»^(٤).

ملحوظة:

قال المؤلف في نهاية بحثه: «وقد كتبت هذه العجالة في يوم الإثنين ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ بلا تسويد، فمن وجد فيها عيبا فليصلحه. والعصمة لله وحده». لذلك فقد أصلحت بعض الأخطاء التي وقفت عليها في الهامش، وميزت بين تعليقات المؤلف وتعليقات

(٤) وانظر حفني ناصف بطولته في مختلف الميادين للشاعر محمود غنيم ص ١٥٧ : ١٦٠. والقاموس الجغرافي لمحمد رمزي ج ١ / ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ (حفن). تراجم سيدات بيت النبوة لعائشة عبد الرحمن ص ٢٩٦ : ٤١٠ .

التصويب بوضع اسم المؤلف بين قوسين (حفي) في نهاية تعليقاته.



ترجمة حفي ناصف

(١٢٧٢- ١٣٣٨ هـ) (١٨٥٦ - ١٩١٩ م)

هو محمد الحفي بن محمد بن إسماعيل بن خليل ناصف.

ولد في قرية بركة الحج بالقليوبية، وحفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، ثم التحق بالأزهر مدة عشر سنوات (١٨٦٩ - ١٨٧٩) درس فيها علوم التجويد وحفظ المتون ودرس الفقه الشافعي، والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقوافي والمنطق والتوحيد والحديث والتفسير، وحصل على إجازة برواية الحديث من الشيخ الأشموني، ثم التحق بمدرسة دار العلوم عند إنشائها، وحصل على إجازتها (١٨٨٢) فدرس الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة والتاريخ والجغرافيا ووظائف الأعضاء، ومبادئ اللغة الفرنسية.

اشتغل مدرساً بمدرسة الصم والبكم والعميان ثلاث سنوات،

وتنقل في وظائف وزارتي المعارف والحقانية (العدل)، وفي أثناء عمله بمدرسة الحقوق اشترك في ترجمة القوانين المصرية، كما اشتغل في القضاء الأهلي عشرين عاماً، وكان آخر مناصبه فيه وكيل محكمة طنطا الكلية.

وعين أخيراً المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية. كان من دعاة إنشاء الجامعة المصرية الأهلية (١٩٠٨) وقد تبرع لها، ورأس لجنة الاكتتاب، ثم انتخب أول رئيس لها.

آخر عمل مارسه كتابة القرآن الكريم بخط يده، حسب قواعد الإملاء الحديثة.

عاش في عدة مدن مصرية، وطاف ببعض الأقطار العربية، وتركيا، وبعض بلدان أوروبا.

تتلمذ على يديه: مصطفى كامل - أحمد شوقي - أحمد لطفي السيد - طلعت حرب - طه حسين - أحمد زكي (شيخ العروبة)، وغيرهم.

اشترك مع الشيخ محمد عبده في تحرير «الوقائع المصرية» وهو

- رسالة في المقابلة بين لهجات بعض سكان القطر المصري.
- الدروس النحوية بالاشتراك. وتوفي بمدينة حلوان جنوبي القاهرة.



ما زال طالبا بمدرسة دار العلوم، وكان يكتب في «الأهرام» بتوقيع «إدريس محمدين»، كما شارك في تحرير «المؤيد» التي كان يصدرها الشيخ على يوسف.

واشترك في الثورة العربية بخطب كان يلقيها ويكتبها ويوزعها على خطباء المساجد والشوارع، وتعلم النشان ليشارك في جبهات القتال على يد شيخه حسن الطويل، وهو طالب بالسنة الرابعة بدار العلوم.

شارك في تأسيس المجمع اللغوي (الأول) ونادي دار العلوم. نال رتبة البكوية (من الدرجة الأولى) واعتذر في زمن السلطان حسين كامل عن عدم قبول رتبة الباشوية.

وكان يتجنب في شعره المدح والاستجداء.

مؤلفاته:

- شعر حفني ناصف جمعه ولده مجد الدين حفني ناصف.
- نثر حفني ناصف جمعه تلميذه محمد مهدي علام.
- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية.
- مميزات لغات العرب.

البحث

الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله ومصطفاه، وعلى آله
الطاهرين وصحابته أجمعين.

وبعد فهذا بحث نفيس
ومطلب عزيز، ساقني إليه نظري في
نفسي وتفكر في شخصي، ودعاني
إليه أمر لا يعني غيري، فحدا بي
تسلسل الفكر واطراد النظر إلى أن
خرجت من مضائق الشخصيات إلى
باحات الكليات وجاوزت ما يهمني
إلى ما يهم غيري، وطرت بأجنحة
الفكر في الهواء، وضربت في
الأرض، وأرض الله واسعة الفضاء،
حتى اهتديت إلى حلقة من العلم
كانت مفقودة، وظفرت بضالة
كانت منشودة، وتذكرت أمر
إسحاق نيوتن إذ وقعت عليه تقاحة من
شجرة باسقة فألم لشدة وقعها مع
صغر حجمها، وعجب لثقلها مع خفة
وزنها، فما زال النظر يهبط به
ويرفعه، ويعلو به ويضعه، حتى وصل
إلى تحقيق أمر الجذب العام، وأخرج
للناس مبحثا ناضجا كان من أكبر

الوسائط لحل غوامض المباحث
الطبيعية وعوائص المطالب الفلكية.
ولا ينعني من حمد الله بُعد
ما بين درجتينا، وسعة الفرق بين
مبحثينا، فالله يعطي النعم على
حسب الهمم، وعلى قدر أهل العزم
تأتي العزائم.

كان الناس ينادونني منذ
نشأتي باسم (حفني) بكسر الحاء،
ولما سافرت إلى صعيد مصر راعني
من أهله نداؤهم لي بلفظة (حفني)
بضم الحاء، ثم لما خالطت أهل الشام
رأيتهم ينادونني (حفني) بفتح الحاء،
فدعاني ذلك إلى العجب من هذا
التخالف، وقلت في نفسي أي الأقوام
يا ترى أصح نطقا، وأمتن ضبطا،
ولعل ما عرفته منذ صغري خطأ
والصواب غيره، فتناولت القاموس
المحيط لأزيل هذه الحيرة فلم أجد فيه
في مادة (ح ف ن) اسم بلدة يمكن أن
يرد نسب اسمي إليها، وعهدي به
يذكر البلاد، فانتظرت إلى أن رأيت
كتاب معجم البلدان لياقوت
الحموي، فإذا فيه: (حفن) بفتح الحاء
ناحية من نواحي مصر، وفي الحديث:

«أهدى المُوقِس إلى النبي ﷺ، مارية من حفن من رستاق أنصنا».

ثم وجدت فيه اسم قرية أخرى تدعى حفنا، وقال إنها قرية من قرى مصر. فأدركت أن النسبة في اسمي لا بد أن تكون لأحد هذين البلدين أو لعظيم من أحدهما، وأن الصواب فتح الحاء كما ينطق أهل الشام، خلافا لما اعتدت سماعه منذ صغري.

ولم يقف فكري عند هذا الحد بل قلت في نفسي ماذا عسى أن تكون هذه الناحية التي أهدى الموقس منها مارية إلى النبي ﷺ، فإنني لا أعرف في مصر قرية بهذا الاسم (حفن) وأين يا ترى رستاق أنصنا الذي منه هذه القرية؟ ثم راجعت كتاب الإحصاء الرسمي للبلاد المصرية، فلم أجد فيه اسم حفن ولا أنصنا، فسبحلت وحوقلت، وتمثلت بقول الشاعر:

دَمْنٌ عَفَّتْ وَمَحَا مَعَالِمَهَا

هَطَلٌ أَجَشُّ وَبَارِحٌ تَرِبٌ

ثم بدا لي أن أراجع كلمة (أنصنا) في معجم ياقوت لعلي أجد لها بيانا شافيا فراجعت الكتاب ورأيت

فيه: أنصنا بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل، ونقل عن أبي حنيفة الدينوري أن اللبَّخ^(١) لا ينبت إلا فيها وهو شجر تتشَرُّ منه ألواح السفن وربما أُرْعِفَ ناشُرُها. ويباع اللوحُ منه بخمسين دينارا أو نحوها. وإذا شد منها لوحٌ بلوح وطُرِحَا في الماء سنة التأمأ وصارا لوحًا واحدًا.

قال ياقوت: «وقد رأيت أنا اللبَّخ بمصر وهو شجر له ثمر يشبه البلح في لونه وشكله ويقربُ طعمُهُ من طعمه، وهو كثير يُنْتُ في جميع نواحي مصر، وينسب إلى أنصنا قوم

(١) اللبَّخ المذكور في ياقوت هو غير الشجر المعروف الآن بهذا الاسم. وقد انقطع من الديار المصرية من ابتداء زمن القيصر أرفاد وهنوريوس في أوائل القرن الخامس من الميلاد . وكان في زمن عبد اللطيف البغدادي نادرا ثم انقرض بالكلية. واسم هذا الشجر باللاتينية "برسيا" وثمره جيد للمعدة وورقه يقطع الدم إذا جفف وسحق وذر على الموضع الذي يسيل منه الدم. ويقال إن هذه الشجرة كانت تقتل أكلها في بلاد الفرس، فلما انتقلت إلى مصر صارت لا تضر. وليس هو المخيط كما زعم بعضهم. (حفني)

من أهل العلم منهم أبو طاهر الحسين بن أحمد بن حيون الأنصناوي مولى خولان، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سليمان بن هاشم الأنصناوي المعروف بالطبري، روى عن أبي علي هارون بن عبد العزيز الأنباري المعروف بالأوارجي روى عنه أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عمر الناقد بمصر».

وكلام ياقوت هذا وإن كان مفيدا لم يشف غلتي ولم يذهب بحيرتي، فرجعت ما طبع من كتاب الانتصار لابن دقماق فرأيت فيه ما نصه: «وأنصنا بلدة قديمة بها آثار عظيمة. وكان بها مقياس صغير يقاس فيه ماء النيل وبعضه باق إلى الآن. وهي على الضفة النيل الشرقية قبالة الأشمونين».

وقال صاحب الانتصار في موضع آخر: «إن الأشمونين ذات كيमान عظيمة. وإن بانيها أشموم بن مصر، ونقل عن القبط أن أشموم بنى سردابا تحت الأرض من الأشمونين إلى أنصنا».

فانشرح صدري بعد مراجعة كتاب الانتصار، وبرقت أساري،

وقلت لقد كدت أظفر بضالتي، فإني أعرف قرية الأشمونين وأعرف أن بها كيमानا وأطلالا عظيمة، فلا بد أن تكون أنصنا في مقابلتها على الضفة النيل الشرقية. ولم ألبث أن سافرت إلى الأشمونين، ونظرت منها إلى النيل فوجدت على الضفة الشرقية أطلالا ممتدة بين قرية دير أبي حنس وقرية الشيخ عبادة، وتبينت بالنظر ومراجعة المصور الجغرافي صدق مقابلة هذه الأطلال وقرية الأشمونين.

فلم يبق بعد ذلك شك في أن هذه الأطلال أثر مدينة أنصنا الأزلية التي ذكرها ياقوت، فعبرت النيل وقضيت نصف نهار في الدوران حول تلك الأطلال أجوس خلالها، ورأيت فيها من العمد الضخمة والتماثيل الفخمة، والأنقاض المتناثرة والمساحة الواسعة، ما يدل على أنها كانت مدينة محكمة البنيان مستبجرة العمران.

قال الإدريسي: «هذه المدينة هي مدينة السحرة التي جلب منها فرعون كل ساحر عليم لمغالبة موسى عليه السلام».

وذكر أبو الفداء وغيره ما لا يخرج عن كلام الإدريسي.

قال صاحب الخطط التوفيقية: «يغلب على الظن أن السحرة إنما جلبوا من مدينة (بيز) التي تقرب من أنصنا، لأن أنصنا حديثة العهد فإنها بنيت في أيام القيصر أدريان لتكون مركزا للأقاليم القبلية بدل الأشمونين. وقد قام هذا القيصر من مملكة إيطاليا سنة مائة وثمانين من الميلاد، وساح في أرض مصر وأقام بمدينة طيبة، وكان مستصحبا شابا جميلا يقال له أنثيوه وكان يحبه حبا شديدا، فقدر الله سبحانه أن غرق هذا الشاب في النيل قريبا من محل هذه المدينة، فحزن عليه القيصر حزنا شديدا وأمر بإنشاء مدينة لتكون تذكرة لنديمه هذا، وأمر بجمع الرومان المتفرقين في جهات القطر وأسكنهم فيها مع من جلبه إليها من بلاد الروم على عادة القياصرة قبله، وجعل لأنثيوه معبدا مقدسا. وكان كل قيصر بعد أدريان يزيد في زخرفتها، فبقيت فريدة في حسنها إلى أن دخلت الديانة العيسوية أرض

مصر فالتحقت بمدينة طيبة وكان لها سور عظيم هدمه صلاح الدين وجعل على كل مركب منحدر في النيل حمل صخرة منه إلى القاهرة، فنقل بأسره إليها. وبنى به صلاح الدين ما أحدثه من المباني في مدينة القاهرة. وفي الخطط الفرنسية أن صورة أنثيوه مرسومة على أكثر من عمد هذه المدينة، وأنها بنيت في موضع مدينة (بيز) ولذلك سميت بيز أنثيوه». انتهى كلام الخطط التوفيقية لعلني باشا مبارك بتصريف.

وقد اهتم بهذه القرية أجلاء الصحابة والتابعين، فقد اشترط الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية ضمن ما اشترط أن يعفي هذه القرية (حفن) من الخراج فأعفاها من الخراج. ولما قدم إلى مصر عبادة بن الصامت أيام عمرو بن العاص وتولى بعض الأعمال بها، بحث عن هذه القرية وبنى مسجدا يعرف للآن باسم مسجد سيدي عبادة، وقد تجدد بعد موته. وموضع هذه القرية الآن يعرف باسم الشيخ عبادة.

وقد زرت هذا المسجد فرأيت به ضريحاً في قبة عالية فسألت أهل

العناية بآثار آل بيت النبي ﷺ وتجديد ذكرى من ينتسب إليه، فلا بد أن يكون باختياره هذا الموضع لبناء المسجد مبنيًا على سبب قوي، وليس هناك أقرب من هذا السبب الذي ذكره أهل هذه القرية "الشيخ عبادة". وقد رغبت إلى مصور لأخذ صورة منظر هذه القرية ومنظر النيل أمامها (كما ترى في الرسم المنشور على صفحة ٧٢).



ذكر ترجمة مارية القبطية

وسبب إهدائها إلى النبي ﷺ

ذكر أصحاب السير أنه كان على مصر من قبل الروم حاكم يقال له المقوقس^(١) واسمه جيريج بن ميناء، وكان له علم بأسرار الكتب الدينية. وقد وفد عليه مرة المغيرة بن شعبة مع رهط من ثقيف، فسأله المقوقس: «ما صنعتُم فيما دعاكم إليه محمد ؟» فقال المغيرة ولم يكن أسلم وقتئذ: «ما تبعه منا رجل واحد» فقال المقوقس: «كيف صنع به قومه ؟» فقال المغيرة: «اتبه أحداثهم ولاقاه

البلد: "لمن هذا المسجد؟" فقالوا جميعاً: "لعبادة بن الصامت"، فقلت: "إن عبادة بن الصامت رجع إلى الحجاز ومات هناك كما هو معروف من التاريخ، فلمن هذا الضريح؟" فقالوا: "له، لأن كثيراً من الأضرحة يبنى باسم عظيم من الأولياء أو الصالحين وإن لم يكن مدفوناً به".

والذي كنت أتعب نفسي في التتقيب عليه وجدته مشهوراً عند أهل هذه القرية، فإنهم يعرفون أن الأطلال التي بجانبها هي أطلال أنصنا، وأن بلدهم هذا موقع قرية حفن، ويقولون إن المسجد الذي بناه عبادة بن الصامت في موضع بيت مارية سرية النبي ﷺ.

فانبهرت من معلومات أهل هذه القرية وجهلي أنا قبل أن أبحث هذا البحث، وقلت في نفسي: أهل البيت أدري بالذي فيه.

واني وإن لم أجد سندا لمعتقداتهم من كتب المؤرخين فإنني لا أستبعد شيئاً مما قالوه: فإن عبادة بن الصامت وفد إلى مصر بلا شك وأقام في الصعيد زمناً كان صاحب الأمر والنهي فيه. ومثله من يعتني كل

(١) ومعنى المقوقس مطول البناء، وهذا لقب كل من ملك مصر. (حفني)

من خالفهم في مواطن كثيرة» قال: «إلام يدعو؟» فقال المغيرة: «إلى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا، ويدعو إلى الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والخمر» قال المقوقس: «إن هذا الذي تصفون منه نعت الأنبياء».

وقد بعث النبي ﷺ كتابا إلى المقوقس في عام الحديبية مع حاطب بن بلتعة اللخمي وكان مع جيد مولى أبي رهم الغفاري^(١) فسارا إلى أن وصلا مصر وسألا عن المقوقس فقبل إنه في الإسكندرية، فسافر إليها حاطب وطلب مقابلة المقوقس فلم يتمكن من الوصول إليه لكثرة الحجاب فاستأجر سفينة وسار بها في البحر إلى أن حاذى مجلس المقوقس وكان في موضع مشرف على البحر وأشار بالكتاب الذي معه، فأمر المقوقس بإحضاره، فلما حضر ناوله الكتاب ففض خاتمه المقوقس فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلاماً على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرَك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط و﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤»

فاستدعى المقوقس حقا من عاج ووضع فيه الكتاب ودفعه لجارية له، ثم قال لحاطب: «ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وخرجه من بلده إلى غيرها؟» فقال حاطب: «ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله، فما له حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى؟» ثم قال حاطب: «إنه كان قبلك رجل^(٢) يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذ الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم

(١) كذا والصواب حاطب بن أبي بلتعة اللخمي وكان مع جبر مولى أبي رهم الغفاري

(٢) يريد فرعون (حضي)

انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك. إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه مودة النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعباسي إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت من أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به».

فقال المقوقس: «أحسن أنت حكيم جاء من حكيم» ثم طالب من حاطب أن يصف محمدا له فوصف له وأوجز، فقال المقوقس: «أفي عينيه حمرة؟» قال حاطب: «ما تفارقه» فقال المقوقس: «أوبين كتفيه خاتم ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالتمرات والكسر، لا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم؟» قال حاطب: «هذه صفته» فقال المقوقس: «قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج من الشام وهناك مخرج الأنبياء، فأراه قد خرج من أرض العرب في أرض جهد وبؤس. والقبط لا تطاوعني على اتباعه، وأنا

أضن بملكي أن أفارقه» ثم قال المقوقس: «أنا لا أحب أن يعلم بمحاورتي إياك أحد من القبط، فارحل من عندي ولا يسمع منك القبط حرفا واحدا» ثم دعا بكتابه، فكتب إلى النبي ﷺ هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط. سلام عليك؛ أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام. وقد أكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب بغلة لتركبها، والسلام عليك».

ولم يقتصر المقوقس في هديته على ما ذكره في الكتاب، بل زاد عنه كما ترى في البيان الآتي:

أصناف الهدية

- (١) مارية بنت شمعون، وكانت أمها رومية.
- (٢) وجارية أخرى يقال لها سيرين، ولكنها أقل جمالا من مارية.
- (٣) وجارية أخرى يقال لها قيسر.
- (٤) وجارية سوداء يقال لها بريرة.

وأهدى النبي ﷺ إحدى

الجاريتين لحسان بن ثابت والأخرى
لأبي الجهم بن حذيفة العدوي، وأبقى
لنفسه مارية. وكان النبي ﷺ يحبها
كثيرا. وكانت عائشة وحفصة من
زوجاته تفران منها وتتكلمان فيما
بينهما فيها.

وكان النبي ﷺ يقسم أيامه
بين زوجاته وسراريه. ففي يوم حفصة
استأذنته في زيارة أبيها، فلما خرجت
دعا مارية لتجلس معه. ولما رجعت
حفصة علمت أن مارية عنده فامتعت
عن الدخول إلى أن خرجت ثم دخلت
إلى بيتها وعاتبته النبي في ذلك،
فأخذ يسترضيها وهي لا ترضى وما
زالت به حتى حرم على نفسه مارية
إرضاء لحفصة وعائشة. ففرحت
حفصة وأخبرت عائشة بالأمر، فقالت
عائشة: «قد أراحنا الله منها» فنزلت
سورة التحريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ
بَنِيَّ مَرْضَاتٍ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١ قَدْ
فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم: ١ - ٢] ومنها
﴿إِنْ نُبَاَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ

(٥) وغلّام أسود يقال له هابو^(١)

(٦) وبغلة شهباء، وهي التي سميت
بدلّ
(٧) وفرس مسرج ملجم وهو الذي
سمي بميمون
(٨) وحمّار أشهب وهو الذي سمي
ببعضور

(٩) ومربعة فيها مكحلة ومراة
ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك
(١٠) وجانب من عسل بنها، وقد
أعجب النبي به ودعا لبنها بالبركة
(١١) وألف مثقال من الذهب
(١٢) وعشرون ثوبا من قباطي مصر
(١٣) وجانب من العود والند والمسك
(١٤) وقدح من قوارير

قال حاطب: «فرحلت من عند
المقوقس. ومعني حرس من الجند إلى
أن بلغت أرض جزيرة العرب، فوجدت
قافلة من الشام تريد المدينة فارتفعت
بها وأرحبت الجند».

ولما وصل حاطب إلى المدينة
سلم الهدية وكان من ضمنها طيب
فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أهلِكَ.
نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا
أكلنا لا نشبع».

(١) كذا وصوابها هابور

تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمًا مِثْلَ مَوْجٍ فَغَنَتِ
تَبَيَّنَتْ عَيْدَاتٍ سَخَّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾

[[التحریم: ٤ - ٥]]

فكفر النبي ﷺ عن يمينه،
وأرجع مارية إلى ما كانت عليه.
وقد أسلمت مارية قبل أن
تصل إلى المدينة، هي وسيرين بدعوة
حاطب بن بلتعة.
وكانت مارية جميلة وبيضاء
لأن أمها رومية، ولأنها من سلالة
الروم الذين أسكنهم أدریان مدينة
أنصنا. وكانت جعدة. وقد ولدت من
النبي ولده إبراهيم في السنة الثامنة
من الهجرة. ومات إبراهيم وعمره
ثمانية عشر شهرا. وعاشت بعد النبي
إلى أن ماتت في خلافة عمر بن
الخطاب فصلى عليها ودفنت بالبقيع،
وقبرها معروف هناك. وكانت وفاتها
في السنة السادسة عشرة.
وترى في الصفحة ٧٢ من هذا
الجزء صورة الكتاب الذي أرسله
النبي ﷺ إلى المقوقس مع حاطب بن

بلتعة منقولة عن نسخة محفوظة بدار
الأثار في الأستانة، قيل إنه عثر عليها
عالم فرنسي في دير بمصر قرب
أخميم في زمن سعيد باشا والي مصر.



خاتمة

لم يكن الرق عند المصريين
والرومانيين مقيدا بالقيود التي قررتها
الشريعة الإسلامية، بل كان أمر
الاسترقاق واسع النطاق، فكما
يحصل بالأسر في الحرب كان
يحصل بالاختطاف وبتقريره من
الحكومة على غير الأشراف، وبعجز
المدين عن وفاء الدين وبسلطة الملوك
على الرعايا بقيود معروفة في تاريخ
القدماء من المصريين والرومانيين.
وكانت مارية وسيرين
وقيسر وبريرة من هذا القبيل، ولم
تكن الشريعة الإسلامية في وقت
إهدائهن تمنع من تملك مثلهن باليمين.
وكما أهدى إلى محمد
جارية من مصر أهدى لجدته إبراهيم
جارية منها، وهي هاجر أم إسماعيل
فيحق لنا نحن المصريين أن نفخر
بمصاهرة هذين الرسولين
الكريمين، وندل باتصالنا بمقاميهما



الرفيعين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد كتبت هذه العجالة في
يوم الإثنين ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠
بلا تسويد، فمن وجد فيها عيبا
فليصلحه. والعصمة لله وحده.



حفني ناصف



تصويبات لغوية

أخطاء شائعة

د/ علي النجار

قراءنا الأعزاء... سلام الله عليكم ورحمته وبركاته... فهذه نُفُتٌ جديدة من بعض التصويبات اللغوية لبعض الأخطاء الشائعة التي ألاحظها في كثير من الأوساط التي تحيط بنا، وأشكر لحضراتكم اهتمامكم لها ومتابعتها في مجلتنا الزهراء أعماريب وأدعوه - سبحانه - أن يجعل ذلك في موازين حسناتنا جميعاً.

- من الأخطاء النحوية التي لاحظتها بين طلاب العلم في حلقات القرآن الكريم - قراءتهم هذا الجزء من هذه الآية الكريمة، قوله تعالى:

﴿ وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ [النساء:

١٢٨].

وكما نرى في تشكيل كلمة (الشُّحَّ) حرف الحاء عليه فتحة فوق

الشدة؛ فكلمة (الشُّحَّ) منصوبة؛ لأنها مفعول به ثانٍ، علامة نصبه الفتحة الظاهرة؛ لأن الفعل (أَحْضَرَ) يتعدى إلى مفعولين؛ مثل: أَحْضَرْتُ محمداً المجلس.

وأصل الكلام - والله أعلم -: أَحْضَرَ اللهُ - عز وجل - أو الملائكةُ الأنفسَ الشُّحَّ.

والخطأ غير المقصود الذي يقع فيه الطلاب هو أنك حين تطلب منهم وَصَلَ هذا الجزء من الآية بما بعده؛ يقولون: (الشُّحُّ) بضم الحاء؛ أي: يجعلون الكلمة مرفوعة بعد أن كانت منصوبة؛ معتقدين أن الكلمة نعت مرفوع لـ (الأنفسُ) التي كانت في الأصل المفعول الأول للفعل (أَحْضَرَ) ثم أصبحت نائباً عن الفاعل مرفوعاً؛ بعد أن تحول الفعل (أَحْضَرَ) المبني للمعلوم إلى فعل لم يُسَمَّ فاعله، أو كما نقول تجوزاً: مبني للمجهول.

وهذا الخطأ ناتج عن أن معلمي الحلقات والمحفظين دائماً يقفون في قراءتهم على كلمة (الشُّحَّ) والطلاب يفعلون كما يفعلون، وعند الوصل يتحيرون في حركة الحاء، والأقرب

- مما شاع خطأً بين الناس قولهم:
اشتريتُ خَضْرَواتٍ؛ والصواب:
خَضْرَواتٍ؛ لأن (خَضْرَوات) جمع
(خَضْرَاء) مثل: حَمْرَاء وحَمْرَوات،
وحَسَناء وحَسَنَوات... إلخ.

وهنا الخطأ من ناحيتين: الأولى - ضم
حرف الخاء، والصواب فتحه. الثانية
كتابتها من دون ألف بعد الراء،
والصواب أنها بألف بعدها.



- من الأخطاء المستخدمة بيننا -
قولنا: صَعَدَ الإمام المنبر (بفتح العين
من الفعل: صَعَدَ) والصواب (صَعَدَ)
بكسر العين - حفظنا الله وإياكم
من ذلك، ووقانا قهر الرجال -
والمضارع من (صَعَدَ) هو (يَصْعَدُ)
بفتح العين.

أشتاق دائماً إلى لقاء
معكم.



إلى الذهن أنها ضمة وليست فتحة؛
ومن هنا يقعون في الخطأ.
وقد رجعت إلى كتب القراءات فلم
أجد قراءة بغير نصب (الشُّح).



- من الأخطاء المتكررة في
حديث كثير من الأوساط المختلفة
قولهم: فلانٌ سِنَّهُ كبيرٌ؛ بمعنى: عُمُرُهُ
كبير، والصواب: سِنَّهُ كبيرةٌ؛ لأن
كلمة (سِنَّ) بمعنى (عُمُر) مؤنثة،
وليست مذكرة.

ومثلها كلمة (بئْر)؛ قال الله تعالى:

﴿ فَكَايِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ
ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُؤُ
مُعَظَّمَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥].

فقد جاء الوصف (مُعَظَّمَةٌ) مؤنثاً؛ دلالة
على أن (بئْر) مؤنثة، وليست مذكرة؛
وعليه نقول: بئْر واسعة، وليس:
(واسع) وعميقة، وليس (عميق).



كلمات ومعان

إذا تكلفت لهم جهّازهم للسفر،
وكذلك جهاز الميت، والجيش.

أيمن عيسى

١- القرطاس:

الذي يُكتب فيه، وهو العَرَضُ،
يُقال: قَرطَسَ الرّامِي إذا أصاب
الغرض. ويقال تَقَرطَسَ الرّجُلُ: هَلَك.
وتلك المعاني هجرتها عريبتا
المعاصرة، وصار القرطاس يُطلق على
ورقة تُلفُّ على هيئة القمّع ليوضع فيها
الحبُّ ونحوه. وتقول العامة: قَرطَسَ
الرّجُلُ الرّجُلَ إذا غَشَّه وتلعب به
وأهان.



٢- الجّهّاز:

تقول العامة: جهاز العروس -
بكسر الجيم- تريد متاعها الذي
يُعدُّ لبيتها وما تحتاج إليه. والكلمة
فصيحة المشهور فيها فتح الجيم،
والكسر لغة فيها. وفي المعاجم:
جَهّزَتُ العروس تجهيزاً إذا هيأت
جهاز عرسها، وجهزت القوم تجهيزاً



٣- السّمنة:

قال الأستاذ عبد السلام هارون في
(كناشة النوادر): السّمنة بكسر
السين لا تعرفها اللغة، وإنما تعرف
السّمَنَ والسّمانة وفي حديث أبي
هريرة: «خير أمتي القرن الذي أنا
فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر
فيهم قوم يحبون السّمانة يشهدون قبل
أن يستشهدوا». وتعرف اللغة السّمنة
بضم السين؛ لكن بمعنى الدواء الذي
يُتخذ للسّمَن، تُسَمَّنُ به المرأة أو
غيرها.



إصدارات حديثة

عبد الفتاح جمال

الشعر في الكويت د. سليمان الشطي الجزء الأول

صدر عن مجلة عالم المعرفة نسخة مجانية مع العدد ٤٠٩ فبراير ٢٠١٤م والكتاب يعد تغطية لجوانب النشاط الشعري في الكويت منذ بدايته ليقدم تاريخا متصلا لحركة تاريخ الشعر في الكويت، يقول المؤلف في مقدمة كتابه: «إن ثمة حاجة إلى كتاب يضم بين دفتيه قولا متصلا يجلي الخطوط الأساسية لتطور هذا الشعر وتتابع حلقاته حتى زمننا هذا». يحتوي الجزء الأول على خمسة فصول من فصول الكتاب الاثنا عشر، يبدأ الفصل الأول من الكشف عن الروافد الأولى للشعر منذ نهاية القرن الثامن عشر فالتاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، وتتابع الفصول في هذا المنحى التاريخي حتى الفصل الخامس الذي

يتحدث عن شعراء عقد الستينات وبه ينتهي الجزء الأول.



الزُمرّ ومحمد، وعلاقتهما بآل حم دراسة في أسرار البيان د. محمد محمد أبو موسى

صدر عن مكتبة وهبة بالقاهرة ٢٠١٢، في مجلد من ٨٥٦ صفحة. وهو من تنمة ما كان الشيخ قد بدأ في نشره من دراسة أسرار البيان في بعض سور القرآن، وقد نشر منها ثلاثة كتب متتالية في آل حم: (غافر وفصلت) ثم (الشورى والزخرف والدخان) ثم (الجاثية والأحقاف). وهذا رابعها.

يقول في مقدمة كتابه: «لما كان المقصود من دراسة آل حم هو بيان المعنى الجامع بينها... لزم أن أراجع الزمر التي انتقل الكلام منها إلى آل حم؛ لأتبين مسافة القرب والبعد التي بين الزمر وآل حم، وكذلك وجبت مراجعة القتال لأنها هي التي انتقل إليها الكلام بعد آل حم».



مرفاً الإبداع

أين الأمة؟

شعر.. شعبان عيسى أبو العلا

يقول الناس أوزينا ومات الصوتُ في فينا
 وديسَ المصحفُ الغالي وسبُّ المصطفى فينا
 وأضحى مجدنا ورقاً وصار العزُّ مسكينا
 وهانت أمةٌ كانت وصار القرصُ سيكينا
 وصار الغربُ يلوينا يدوسُ العُربَ يحينا
 إلهي، حالنا هذي فلو ترضيك ترضينا
 ألا يا قوم من يبكي على عزِّ ويُبكيينا
 فما للسرِّ لا يقوى وما أخزى الشواهينا
 كفانا أمتي نوماً كفانا لوكُ ماضينا
 أفيقوا إننا نُصبُ وعينُ الحقدِ ترمينا
 ألا فلتدمعوا حزناً على قومٍ مجانيينا
 عقولٌ ضلَّ مرماها فيضحي ديها طينا

أَدِينُ اللهُ لَا يَكْفِي وَطِينُ النَّاسِ يَكْفِينَا؟
 أَلَا تَرْجُونَ أَخْرَاقَكُمْ؟ أَلَا فَتَتَصَرُّوا الدِّينَا
 أَلَا فَتَلْتَرِبُوا حَجْرًا عَلَى أَمْعَائِكُمْ حِينَا
 فَحَدُّ اللهُ مَتْرُوكٌ وَهَذَا الْأَمْرُ يُخْرِينَا
 وَهَدْيُ الْمُصْطَفَى يَبْكِي أَهَذَا حُبُّ بَارِينَا؟



جفت البحار

أسماء زيدان

أَمَسَكْتُ ورقةً في مِقياسِ نصفِ ذِراعِي، وأَتَيْتُ بها، وجعلتُ أثنيَ نصفها،
وأطوي طيَّاتها. كانت بيضاء، ولم أشأ غير ذلك، فضلاً عن أنني لم أكن
أملك غيرها في ذلك المِقياس. لم أكن بحاجةٍ إلى مِقياسٍ؛ فالحزن اكتفى بتلك
المهمة، ولم أكن بحاجةٍ إلى صَمغٍ؛ فالألم أجود ما يُباع الآن في المكتبات!

أخذتُ ألممُ أشلاءِ الذكريات وألقي بها في قاع تلك الورقة، وانبطحتُ أرضاً
فرفعتُ مِلاءةَ السرير؛ لأستخرج ما تحته من صناديق بدأت في نبش بطونها،
واللعب بأحشائها، والعبث بتاريخها، ثم أمسكتُ محتواها وألقيت به في القاع،
فلحق بأتباعه. وبعد أن أفرغتُ ما في الغرفة، أعددتُ ورقةً أخرى، لم تكن في
قياس الورقة الأولى، كانت في طول أصبع وفي عرض أصبعين!

لم تحتو إلا على كلمتين (إني راحلة!). طويتها وألقيت بها في قاع الورقة الأولى
لتكون آخر ما يلقى!

أمسكتُ صنيع يدي، فكانت سفينةً ورقيةً. وفي يدي الأخرى حقيبةً سفريةً.
سررتُ في طريقي أعدُّ خطاي خطوةً خطوةً، حتى وصلتُ إلى الشاطئ.. أنا الآن،
وليس بعد قليل، سأمحو نفسي من هذا الوجود، وسأجعل سفيني الورقية
تخطو البحار والأنهار، تجوب الوديان والأقطار، تذهب بلا عودة، ترحل بلا
ضوضاء.. لكنني عندما هممت بإلقائها، (جفت البحار!)



مروج النهضة الراقية...

أ. سميرة بيطام

جمل لي مجلسي بفتيات الراحة الفكرية حينما تداعب أنامل قلمي
لأنني في اشتياق و تلهف لأكتب حديثا عن النهضة، لست من دعاة الكلام
وإنما أميل إلى ما طاب و جاد من الحديث المنظم، في بداية لي بتعريف مختصر
للنهضة..

يرى الدكتور محمد العبدية أن جذور النهضة تمتد في تاريخ المسلمين
الحديث إلى دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ / ١٧٠٣ -
١٧٩١م) على أنها تتطلق من قلب الجزيرة العربية لتبلي مطلب التغيير والإصلاح،
وهو الرجوع إلى صفاء الإسلام والأخذ به على أوله وأصله، و البعد عن البدع
والشرك الذي يشل التفكير ويجعل الإنسان خاضعا ذليلا لإنسان مثله، بل
خاضعا حتى للأشياء مثل الحجر والشجر^(١).

جميل أن يكون جذور الشيء الذي سأكتب فيه يمتد للمسلمين ما
يدفعني للشعور بنشوة الافتخار أن الانطلاقة كانت من هناك.. ولا يمنع هذا أن
أستقي معنى النهضة من قاموس اللغة العربية الممتازة، فجمع الكلمة نهضات،
و النهضة هي الطاقة أو الوثبة لأجل التقدم الاجتماعي وغيره، و أن نقول باعث
النهضة بمعنى أول الدعاة إليها، ومجمل الكلمة تعني الانبعاث، التجدد،
التقدم بعد التأخر.

ولكن ما هي أسباب التأخير أو ماهو الدافع للتجديد لتكون هناك
ضرورة للنهضة؟ و هل لسلوك البشر سبب مباشرة في الركود؟..

عن علي رضي الله عنه قال: قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا
إدبارا، و الشر إلا إقبالا، و الشيطان في هلاك الناس إلا طمعا، فهذا أوان
قويت عدته، و عمت مكيدته، و أمكنت فريسته، أضرب بطرفك حيث

(١) د.محمد العبدية: دروب النهضة، مركز الرسالة للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى
٢٠١٢م، ص١٢.

شئت، فهل تنظر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدل نعمة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا، أو متمردا كأن بسمعه عن سمع الواعظين وفرا، أين خياركم وصلحاءكم، وأين أحراركم وسمحاؤكم، وأين المتورعون في مكاسبهم، والمتزهون في مذاهبهم ؟ أليس قد ظعنوا^(١) جميعا عن هذه الدنيا الدنية، والعاجلة المنغصة، وهل خلفتم إلا في حثالة^(٢) لا تلتقي بدمهم الشفتان، استصغارا لقدرهم، وذهابا عن ذكرهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ظهر الفساد فلا منكر مغير، ولا زاجر مزدجر، أفضها تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، و تكونوا أعز أوليائه عنده، هيهات لا يخدع الله عن جنته، ولا تتال مرضاته إلا بطاعته^(٣).

يبدو من قول علي رضي الله عنه بعض الجواب الشافي عن أسئلتني السابقة، في أن الفساد هو اعم العوامل الدافعة بالأمم إلى الركود و العودة للوراء، والإنسان هو المسؤول عن الفساد مصداقا لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤١) ﴿الروم: ٤١﴾.

وبما أن الفساد هو مدعاة لسخط الله وغضبه، فحتما ستؤول الأمور إلى نواقضها، فان كان فيه تقدم و ازدهار سيؤول الأمر حتما إلى تدهور وانحطاط و إن ساد الأمن و السلم بلادا ما ثم تغلغل فيها الفساد حتما ستسود الفوضى و الحروب و شتات الضمائر و تيه العقول، في مراد مكنم الخلاص أين هو، و لن يكون فيه خلاص و نجاة إلا بالعودة إلى الله، وهذه العودة تتطلب تغييرا نابعا من ذات كل فرد بدرء للمفاسد من خلال إتباع أوامر الله والابتعاد عن نواهيه، و يكتمل نصاب التفقه في إرسالية الرغبة في التحضر من جديد إلى ضرورة إحداث نهضة واضحة الأبعاد و مدروسة المنهج، و لا يتأتى

(١) ظعنوا: ارتحلوا.

(٢) حثالة الشيء: بقية الرديئة، وحثالة الناس هم الأندال اللؤماء.

(٣) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ربيع الأبرار و نصوص الأخبار، مؤسسة الأعلى

للمطبوعات ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦.

ذلك إلا بالرغبة الأكيدة و القاطعة في توحد الكلمة و تمازج النوايا في النهوض من جديد بصرح البلاد و بناء قواعد متينة و جديدة تكفل للبناء ارتفاعا أكيدا في الثوابت و الدوافع، فلا نهضة ناجحة إن لم يتوفر عنصر التغيير الأكيد في بواطن الفساد ليعم الخير والرزق والنجاح والتشييد للصرح المتين بحضارة تكفلها سواعد مؤمنة أن ما كان منطلقه الوضوح والمباشرة أقرب لإحداث نهضة حقيقية لا يشوبها لا تخبط فكري ولا تذبذب حضاري؛ لأن متانة الرأي من جادة الصواب في القرار، وفي مجيء الإسلام هو الصورة الرسالية المثلى بمحتوى إحداث نهضة صريحة لكسر تماثيل التعبد التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تغني من جوع لدعوة الناس إلى الله الواحد الأحد بفكر متوازن و أسلوب مهذب و سماحة سلسلة في العقل والروح، وهي مقومات الشخصية الناجحة والتي توفرت في شخص الرسول الكريم ﷺ.

يبقى أن الرسوخ في معرفة أن التوفيق بيد الله أمر حتمي لا غبار عليه، لنفهم جيدا عوامل نجاح النهضة، فالاستراتيجية المدروسة جيدا والموارد البشرية المفعمة بالطاقة والحيوية والآليات الفاعلة لا تكفي بل ليست هي وحدها من يحقق النهضة بمفهومها الحقيقي والجزري، فهي أسباب يجري تعطيلها أحيانا بإرادة من الله ليعرف الإنسان أن نجاح أموره بيد الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ١٣٠]، وإذا عول الإنسان على هذه الأسباب في أنها ستؤدي للنجاح بعيدا عن مشيئة الله، فهنا نوع من الشرك، والأصل في ذلك هو اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله، و هذا أمر جامع متكرر عبر قرون خلت ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَجْدِلُكَ اللَّهُ تَبَدِيلًا﴾ [الأنعام: ٤٣].

يبدو أن معالم النهضة أصبحت أكثر وضوحا عبر مروج من صفاء و طهر ونقاء، فالتفكير السليم والمرجعية الصحيحة من الكتاب والسنة هي التي تأتي بالنتائج السليمة والمرجوة وفق برنامج ومخطط النهضة، وبقدر توفر الإرادة الفولاذية في إحداث التغيير يتحقق المراد والهدف المطلوب، وقد ورد ذكر كلمة الإرادة في القرآن الكريم على نحو ١٤٠ موضع مترجمة في شكل الفعل

والعمل، وهذا ما يزيدنا يقينا أن نجاح عملية النهضة مرهون بمثابرة في العمل والجد والكد في تحصيل المرغوب فيه بصيغة الحلال بما تضبطه الضوابط الشرعية التي توطر مجال النهضة لتصنع منها آلية منتجة ومحققة للأمال والطموحات، واستحضر قول حسان بن ثابت:

وما الدين إلا أن تقام شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فأساس الالتزام بالدين هو اللبنة الأساسية للنهضة ومن غير هذه اللبنة لا تصلح باقي اللبنة في أن تتراص بعضها فوق بعض، لأن قوامه الدين هي ما يجمع ويؤلف بين اللبنة الأخرى كالاتجاه والعمل على مراجعة نقاط الخلل والضعف أن ما طرأ إشكال في منهجية النهضة أو في سلوك من سلوك أفرادها قد لا يحقق المطلب الشرعي منها وهو إحداث تغيير جذري في الأساس والهياكل المجتمعية والاقتصادية والسياسية وإعادة التشييد على وتيرة ونسق جديد فيه التجديد والحداثة لمواكبة مستلزمات الحضرة دون الإخلال بمبادئ الشريعة الإسلامية..

كانت توضيحات و شروحات عبر مروج النهضة.. و يا حبذا لو تتحقق بحذافيرها لتصبح راقية على الشكل الذي يجذب الإعجاب و يحقق الرضى في نفوس من حملوا على أكتافهم آفاق النهضة وحققوها بدءا بأنفسهم وانتهاء في مجتمعهم، بل في كل من ناشد النهضة وحققها وعاش في كنفها.. و هو منى كل شعوب العالم لترتقي و تسمو فوق منغصات العيش وأسباب التخلف والجهل... بما يكفل نعيما في العيش و طمأنينة في الحياة.

